ديكولتيه

إيمان الدواخلي

أشعار قصة "متيم مهداة من أستاذي الشاعر
الرائع "عبدالله صبري"

obeikandl.com

أفق

هنـاك.. ذلـك البحـر.. حيـث تتـوج الزرقـة ملكة على كل أزرق.. ويتهادى ، أو يطرق ويصـخب، منسـحب علـى الـبر البلاتـيني. هناك حيث بياض السحب بالأعلى شفيفة.. وزرقة السماء المحيطة بوجه الشمس الذهبي تنافس زرقة البحر حتى يتلامسان في عشق عند قوس الأفق البعيد. ويروي الخضرة عند البر البلاتيني

هنـاك كانـت.. وهنـاك كـان.. بحـرا وسمـاء.. بالحـب ينسـحب علـى الـبر هادئـا ، وبالحب تتلاعب نسماتها بنتائف السحب.. وفي الغضب يهدر بأمواجه، ويأكل البر.. وفي الغضـب ترعـد وتصـعق الـبر..

غضب وراء غضب، رغم أن بينهم أيام الصفاء.. البر البلاتيني أغرقه المطر، البر البلاتيني أكله الموج.. وتلاشت جزيرة البقاء.. رغم إنهما - البحر والسماء - لا زالا يلتقيان عند خط الأفق

obeikandl.com

دواعي الاستعمال

(١)

في الغربة، كؤوس من قهر يتذوقها في العمل. كيف يرفع رأسه فوق (لأنه مصري).. يقولونها في الميدان ويقفزون.. ويقفز هو إلى الفراش ساحبا إياها معه.. ليرفع.. فوق.. أنت مصري في الغربة!

(٢)

حوار طويل.. طويل جدا، لا يبرره نقاش سياسي أو فكري.. ولا مصالح متبادلة أو عمل.. لا يبرره سوى كونها امرأة وهو رجل.. ويطول أكثر وأكثر.. فيفرز تعبا لا راحة له.. إلا عند الفراش، حيث دقائق تكمل الحوار الطويل!

obeikandl.com

(٣)

تلــك العبــاءة المطــرزة منــذ شــهر أدت وظيفتها لأسبوع كامل، ومنذ ثلاثة أسابيع لا جديد.

لكن ورقة - يريدها أخوها موقعة من اثنين موظفين ومختومة بختم النسر- تأتي بفرصــة.. لا يهــم أن تكــون بياناتهــا غــير حقيقية.. الأهم هو التوقيع والختم.. وأكل الـ (محشي).. و.. ليلة في فراش الشكر!

(٤)

"لا".. استطاع ان يرفض بكل جرأة.. ولم تعترض..

ليلا، في الفراش تتأوه.. تتقلب ساخنة جــدا.. يغلــي بجوارهــا.. يحــاول تجاهلــها، لكنها تنجح في جعله يشتعل.

obeikandl.com

يهجم معتليها.. وسريعا جدا.. أسرع من أن تُدرَك آهة أراداها.. ويلهث.

تنقلب على جانبها معطية ظهرها له، وتظل تتاوه.. يربت على كتفها في حنان، معلنا موافقته على رحلتها.

obeikandl.com

الساعة

الشـرخ المـار بمركزهـا.. والمتشـعب إلى أطرافهـا.. يشـوهها ، ويخفـي كـل داخلـها. أهزهـا.. أسمـع خشخشـةً.. يبـدو أن أشـياء بالـداخل تكسـرت أيضًـا. هـل أخفيهـا؟ كيـف؟ إن لم أضـعها سيسـألني عنهـا.. أنـا مقتنـع أنـه لـيس خطئـي. هـل تعثـر أحـدٍ في حجـرٍ بالشـارع خطـأه؟!.. أكـاد أسمعـه مـع عزفه الذي حفظته..

"ما أنت طروبش" .. "خسارة فيك الحاجة الكويسـة" .. "ولا بـتحس أن الحاجـة بفلـوس أبـدا" .. "أنـت فعـلا علـى رأي أمـك كفايـة عليك حاجة العتبة"..

أدسها في جيبي، فلنؤجل السيمفونية إلى وقـتٍ آخـر، علـى الأقـل إلى أن تسـكن آلام

obeikandl.com

جسدي من أثر السقطة. أدخل إلى البيت ملقيا السلام على أمي. تتفحصني بعينها، ثم تسألني:

- أنت وقعت في الشارع وللا ايه؟
- أيوة اتكعبلت في طوبة
- طب ادخل غير واغسل كوعك أحسن متعور.. استنى!

تقوم من مكانها، وتسرع ناحيتي، وتمسك معصمي..

- هي الساعة اتكسرت؟..

ترفع عينها إليّ.. تلوي شفتها.. تعود لتتفحص اللون الأزرق مكان الساعة، فأطلق تأوهًا يجعلها تتركني. تعود إلى مكانها، فتحمل إبرتيها تحت إبطها، وتكمل غزلها، وهي تتنهد.

obeikandl.com

أتركها ، وأدخل فأغتسل، ثم أستلقي في سريري حاملاً هم الآتي. أفزع على صوتها تناديني للطعام، وهي واقفةٌ بباب الغرفة:

- قوم كل قبل ما ييجي وادخل نام. مش لازم تنكد عليه وهو لسه جاي.. ما هو منظر ايدك باين أصله

- هنام على طول مانيش جعان تنهرني..

- ماهيش ناقصاك الحكاية.. قوم كل يللا.

لها طريقة عجيبة في إبداء تعاطفها!

سمعنا صوت خطواته وراء الباب، فقمنا مسرعين. أخذت هي الطبقين مهرولةً إلى المطبخ، بينما مسحت فمي بمنديل،

obeikandl.com

واختفيت في سريري. أسمع صوتيهما.. ضحكتها الهادئة بين الحين والآخر.. أصوات الأطباق والملاعق.. ثم صوت باب حجرتيهما يغلق.. وهدوء.

بدأت دقات قلبي تتسارع مع مرور دقائق السكون تلك.. حتى فزعت على الصيحة التي انتظرتها:

- كلب.. خسارة فيه الحاجة.. ولا بيحس بالفلوس أبدًا.. الواحد عايز يعمله بني آدم عليه القيمة ومافيش فايدة

أسمعها تهمس..

- قلت لك كام مرة هو مش هيتبسط بالغالي.. الرخيص بيريحه ومش بيتزعل عليه.

يعلو صوته أكثر في عصبية:

- أنا الغلطان فعلاً.. لما أجيب له حاجة نضيفة علشان منظره يبقى عدل وسط زمايله أبقى أنا الغلطان. يبقى مهزأ وسط الناس إنما ما يعودش نفسه يحافظ على حاجة

- يا سيدي كل واحد وله اللي يريحه.. هو مش زيك ومش بيقدر يحافظ على حاجته ومش بيفرق معاه الغالي مش بيحس له بفرحة زيادة بالعكس.. بيحس أنه ماشي مخنوق بيه ومش على راحته

كأنك تقرئينني يا أمي الحبيبة.. أسمعه يسألها:

- هو اللي قال لك كده؟

- هو ما قالش حاجة بس أنا كده وحاسة بيه.. أنا مش بحب ألبس ولا اشتري

حاجة غالية بحب ابقى براحتي ولو حاجتي اتبهدلت ما ازعلش عليها. أنت بتحب الغالي ويعيش معاك احنا بنحب الرخيص ونغيره لو اتبهدل ويبقى منه تجديد.. وجهات نظر ماجراش حاجة.. ثم احنا قلنالك ساعة الموبيل كفاية وماعادش له معنى لبس الساعات أصلاً.

ابتسم وأهز رأسي.. من شابه أمه فما ظلم.. أتمنى أن يقتنع؛ لكن أنتظر انقلابه عليها هي الأخرى. لا أسمع شيئًا لبرهة، ثم صوت باب الحجرة يفتح، ثم يغلق.. وأحس خطواتها خارجةً إلى الصالة.أخرج، فأجدها تمسك غزلها، فتخلع الإبرتين منه، وتنقضه مكورة الخيط من جديد.. ربما للمرة المائة.

بالطبع سمعت السيمفونية كاملة في

المساء، لكنها خلت من الفرقعات، فقد استقبلتها هي نيابة عني.. بعد أن شرب الشاي، لبس ملابس الخروج، ونزل مع أصدقائه.. حين عاد كان يحمل في يده حقيبة ورقية أنيقة.. تعلقت أعيننا جميعًا بها.. حسنًا إنه لم ينسَ رغم ضيقه بي..

ابتسم، وتقدم إليها يقبل جبهتها..

- كل سنة وأنتِ طيبة..

توجه إلينا بصوتٍ أعلى..

- تعالوا يا ولاد شوفوا هدية عيد ميلاد ماما.

مد يده، وأخرج علبة سوداء.. ابتسمنا جميعا منتظرين.. فتحها أمام عينها لتظهر ساعة من تلك الماركة السويسرية الغالية.. ولتتلاشى ابتسامتها وهي تتمنى مكواة

تفرد قسماتها كي لا تحبطه.. يخرج صوتها خفيضا..

- تعيش وتجيب.

.....

obeikandl.com

رحلة

يهدر .. أتوارى .. أراقب أسراب السمك من وراء الزجاج .. قال إنها رحلة لن أنساها .. بدا متحمسا جدا فلم أستطع الاعتراض .. بأي حال لم يكن اعتراضي يصنع أي فرق.

سرب آخر .. عجيبة أسراب السمك .. الجميع متماثلون ..الجميع نفس الحركة والمشيئة .. لا أحد يحيد عن الجماعة. كان يراقبها ويشير بإصبعه فوق الزجاج .. الألوان هي ما تجعله يطلق تسبيحاته .. تخيلت أن السمك حر وهو المحبوس في ذلك القارب الزجاجي.. وضع مخالف لسمكاته الملونة بالبيت .. سعيد هو.

obeikandl.com

سرب جديد ولكن ذلك الصغير تركه ليلتصق بالزجاج .. أمام موضع التصاق أنفي به تماما .. كأنه ينظر إليّ .. أو ربما يطلق رسالة إلى عقلي .. لم أدر هل أنا من ارتد طريفي أم هو من أغمض لوهلة .. الأسماك لا أجفان لها! .. وفي نفس اللحظة اختفى داخل بطن سمكة مفزعة قبيحة واجهت نظرتي المشمئزة بمجرد تركي وانسحابها بعيدا .. وكأن غضبي لا يصنع أي فرق لديها.

انتهى الوقت .. ارتفع القارب بنا .. واستقبلنا أبوانا

كانت الخطوة القادمة المقررة هي النزول إلى الماء .. ولم أكن أحب البحر بلا موج كما في هذا الخليج.

جميعهم قفزوا إلى الماء عابثين .. وقفت على حافته أداعب الرمال .. رماني بالماء فتناثرت قطراته حولي .. حاولت البحث عن تلك القطرات التي أصابتني .. فلم أجدها بين مساحات المياه حول قدميّ .. رفعت رأسي إليهم .. ولحقت بهم.

obeikandl.com

أمر الله

في بلادنا هناك، في الشرق، نحيا حياة بسيطة. الزراعة حرفتنا، أو يرسلوننا عبيدا ببلاد خليج العرب.

منذ سنوات قليلة، هناك في تلك البلاد ماتت أمي. قالت لي صاحبتها، حين عادت بعد انقضاء العمر والعافية، إن بطن أمي انفجر لأنها رفضت أن تكون أمة مستباحة. ولأنها في حقيقة الأمر أمة، فقد قرروا أنها انتحرت.. ولم يكن من مال لديها ليرسلوها به إلينا.

قالت جدتي إن المال كان موجودا، ولكن أبي رفض أن يضيع المال كما ضاعت أمي. قال إن التراب واحد، والدعاء

obeikandl.com

يصل للسماء لا للتراب. قالت جدتي إن بيتنا الفقير هذا أملكه أنا، لأنه من مال أمي.

منذ شهور قليلة، أتى خالي ليحيا معنا. سمعته يحتد على أبي يوما، ويقول إن هذا حقه في ميراث أخته. أبي رفضه، ولكن جدتي هددت أن تحتكم للشيخ. وبنى أبي حاجزا بين حجرتين لخالي وزوجه وعياله وبين باقي الدار.

منذ أسابيع قليلة، كنت أذهب إلى المدرسة. وكان ابن خالي يذهب معي. وكنت سعيدة لأنني أخيرا أصبح لي أخ أشتم فيه رائحة أم لا أتذكر ملامحها. لكن منذ تلك الأسابيع القليلة وأنا أشتم رائحة أخرى لغدر لم أفهمه

جيـــدا. غـــدر لم يحمـــل صـــفة الخـــال.

ومنذ أيام، لم يعد الأمر رائحة قط. بل بات واقعا. ذلك أن ذلك الرجل تصيدني، وأنا خارجة لقضاء حاجتي. كادت أنفاسي تزهـــق تحـــت ثقلـــه. وارتفـــع أنـــيني. سمعتني زوجه. أحسست بالنجدة أتتني حين رأيتها. لكن وكأنها تعاقبني أنا أن طمع بيّ رجلها. جذبتني إلى بيتها، وأوسعتني ضربا كي أصمت. لكنني هربت أخيرا من يدها، وجريت إلى أبي لأحتمي عنده. حين رآني، فهم ما كان. وحمل هم عاره كأنما جبل الشيخوخة حط على صدره.

ومنذ أيام قليلة، أخذني من يدي، دون كلمة واحدة. مد خطاه غير مدرك إني لا

أستطيع مجاراته فكنت للجر كالبهيمة أقرب.

دخلنا إلى المسجد، وترك يدي حين وقف أمام الشيخ، الذي أشاح بوجهه عني. اقترب منه أبي، وتكلما كثيرا. لم أفهم شيئا مما قالا.. مرت بأذني كلمات مثل الحد، الخطيئة، أمر اللّٰه.. اطمأننت لذكر أمر اللّٰه، فهكذا أسمعتني جدتي دائما. لكن تذكرت أنها تقولها أيضا حين تتذكر موت أمي.. فانقبضت.

بالأمس، صحوت على أبي يهزني. جرني مجددا، لأجد الناس قد اجتمعوا.. قيدوني.. وهوى السوط على ظهري. صرخت ألما.. رعبا.. واندهاشا. لكن ضاعت صرختي مع فرقعة السوط الثانية.. الثالثة.. العشرين.. لم

أعد أحصي.. شعرت بعقلي يغيب.. سمعت فيما سمعت أن خالي قد هرب.. وسمعت أن سنوات عمري المحدودة عند العشر لا تشفع لي.. وأخيرا ، سمعت أن هذا أمر اللّه، فابتسمت... ورأيت أمي أخيرا.

obeikandl.com

باليه

منـــذ تعلمـــت الوقـــوف مســـتندة إلى الكراســي وهــي تعشــق الموسـيقى وتنـدمج معها. سنها الآن ثلاثة سنوات، وتطلب سماع الأوركســـــــترا.. بحـــــــيرة البجـــــع لتشايكوفســـكي هـــي الأقـــرب لقلبهـــا..

تـذهب إلى خزانتهـا وتـتخير لنفسـها ثوبـا منفوشـــا ، وتـــأتي أمهـــا لتلبســـها إيـــاه. تبدأ في الدوران .. تحاول حتى تتمكن منه.. تشب على أطراف أصابعها.. تتمايل وتحرك ذراعيها في تناسق.. يا اللّٰه كم هي جميلة متحدة مع النغم.. تحاول الدوران على قدمٍ واحدة ، فتقع.. تبتسم لها وتشجعها أن تقوم وتكمل..

نادته ليراها، ابتسم للطفلة بحب..

- ايه رأيك نوديها الجيم اللي على أول الشارع تتمرن باليه؟ منه رياضة ومنه بدل الحضانه وبتحبه فهتتبسط..

ابتسم بسخرية، ولم يعلق.

بعد أيام سألته مجددا..

- البنت بتطور نفسها.. بص بقت بتلف ازاي على رجل واحده وتوازنها ممتاز

علا صوته قليلا واتخذ حديثه ذلك المأخذ الخشن الذي يقطع الطريق سريعا..

- هتروح تتعلم ترقص..

ردت في إحباط:

- دي طفلة!

- ولو

obeikandl.com

- أجيب لك فتوى ان مافيهاش حاجة

- عارف ان مافيهاش حاجة على قد البيت مش تروح تترقص بره

- قلت لأ وانتهت

- هو يعني الباليه يفرق ايه عن السباحه وللا الجمباز؟

بتهكم قال:

- آه .. لا الرقص أحسن حتى بيجيب فلوس خرجت من الحجرة لتجد ابنتها تجذبها من يدها

- ماما عايزة الموسيقى اللي بتجيبيها (تقصد بحيرة البجع)

تديرها.. تتأمل طفلتها قليلا.. ثم تقوم لتدور معها.. تتسع ابتسامة الطفلة فرحة

obeikandl.com

بمشاركة أمها وتدور أسرع وأسرع.. والأم معها.

يغلق باب الحجرة بعنف، ويفتح المصحف.

obeikandl.com

عاهرة

تقف لحظة تفكر، ثم تتخذ قرارها، وتدلف إلى الشارع الضيق المزدحم. كانت تتجنبه دائما، وتطيل الطريق حوالي نصف الكيلو، كي تتفادى المضايقات والتحرش في ذلك الشارع. لكنها اليوم متعجلة، وقد حان ميعادها بالفعل، وهي تكره التأخر عن موعدها، ومن يتأخرون عن مواعيدهم، بصورة مطلقة.

وجدت ذلك مبررا كافيا، لتمر حيث كرهت طويلا، رغم أنها تعلم جيدا أن من تعجل لملاقاته سمته التأخر والاعتذار.. بصرها يخترق الشارع متعلقا بآخره، وهي تمد خطاها، وتتجاهل العبارات القميئة، والأكتاف المعترضة طريقها في فجاجة. ذلك

obeikandl.com

القادم أمامها يبدو أكثر تبجحا ، وقد برزت ذكورته الثائرة خلف بنطاله ، وبدت عيناه متحفزتان. حادت إلى الجانب الآخر من الطريق سريعا ، فلم يصل لأكثر من وكز صدرها بكوعه.

مدت خطاها أكثر ، وهي تضم حقيبتها إلى صدرها تضغطه لتسيطر على ألم الوكزة ، وتركز في طريقها أكثر مقتربة من نهاية الشارع ، وفي ثوانٍ أخرى تكون قد عبرت إلى الكورنيش. تبطئ خطوتها قليلا ، وتتنهد مرتاحة وقد بقيت أمتار فقط لتصل إلى هدفها.

أخيرا وصلت. انتبهت إلى مكالمة فائتة على هاتفها المحمول ، فاتصلت بصاحبها ، وابتسمت في هدوء وهي تسمع الاعتذار

لتأجيل الموعد ساعة أخرى. أنهت مكالمتها، وطلبت لنفسها كوبا من الينسون، وغرقت عيناها في رقرقات المياه.

أصدر هاتفها رنة قصيرة، فنظرت للاسم، وزفرت في اشمئزاز. إنه هو.. ينبهها لكونه في انتظارها على الإنترنت. أحست بألم صدرها أكثر، فلفت ساعديها معا تضغطانه لتخفف الألم. أطلقت سبة لذلك الهمجي الذي سببه.. وسبة أخرى لتلك الرنة اللحوحة.

أتى النادل بالينسون، فأخذت تتأمل الفنجان في صمت، وهي تلمح نفسها غير المستنكرة إلا للألم. ابتسمت لتساؤل هب إلى ذهنها.. ماذا سيقول إن رأى زرقة بصدرها حين تتعرى أمامه اليوم؟.. عادت

فهزت كتفيها مستخفة.. لو فكر هكذا فستضحك كثيرا.. لن تبرر له أي شيء، بل ستستمتع باستفزازه.. ما الفرق بين عهر في الشارع وعهر أمام الكاميرا، حتى وإن كان زوجها.

أغمضت عينيها تحبس دمعة لا تريد لها أن تفر.. تبدى أمامها وجه زميله في الغرفة حين ملأ الشاشة فجأة، متضاحكا معه.. كانت بلا قطعة ملابس واحدة.. وكان رده إنه قد أنزل الصورة من على الشاشة، فعليها ألا تقلق.. ابتسمت مجددا.. تحولت الابتسامة إلى ضحكة علت.. أفاقت من شرودها، لتجد من حولها يرقبونها بابتسامات مختلفة الإيحاء. كتمت ضحكاتها، وهزت رأسها، وأمسكت

الهاتف ترسل له بأنها ليست بالمنزل الآن.

ستتعرض لتحقيق طويل عن خروجها حين تراه ليلا.. يغار.. يغار كثيرا.. إلى درجة أن يجعلها تتعرى، وتعابث نفسها، وتهتز إثارة أمامه.. وهي تسمع في أذنيها أصوات زملائه بالغرفة.

صدرها يؤلمها.. تضغطه.. تكتشف إنه لا ألم به.. تضغط أكثر.. يرن الهاتف علامة وصول الرسالة له، ويعود الألم.

obeikandl.com

خديعة

تحتضنني وهي تحكي له.. تظهر كل الحنان أمامه. أنا لا أصدقها. أين كان فيض مشاعرها وهي تخدعني؟. سألتها عن وجهتنا فقالت أننا:

"رايحين لطنط ناخد الدوا"

كنت أتقافز فرحةً حين أخبرتني بذلك.. الحرمان من الجميع هنا قاسيًا. إنني أفرح بمجرد رؤية (ناس) إن فتحوا الشباك مرة كل عدة شهور. يحرمونني من عمتي وأبنائها.. خالتي وابنها الظريف الصغير، الذي أراقبه وهو يحاول الوقوف فيقع، وأضحك منه. ابنة عمي التي تلعب معي.. كل الناس حين اطلب الذهاب إليهم، يقولون

"هم في مصر"..

لماذا لسنا في مصر أيضا؟!

واليوم تخدعني.. وندخل وقد حملتني تدللني - وهي من ترفض ذلك دائما بحجة أني كبرت - . حولي أطفال آخرون بصحبة آبائهم وأمهاتهم.. كنت سعيدة بوقوفنا وسطهم. وضعتني تلك الـ (طنط) على سرير، وقطرت مرًا في فمي، ثم كشفت فخذي – لكأنها اختارت ذلك الثوب ليس لأني أحبه، ولكن لأنه قصير يسهل الأبرة التي غرستها المرأة بي ويداها – أمي - تثبتاني بقوة. لم أفتح فمي .. ولم تدمع عيني.. الصدمة أنتجت الصمت، وجمّدت دمعي. حملتني مجددا على كتفها، وعدنا إلى البيت بلا حتى قطعة من

الحلـوى ترضـيني بهـا. والآن ترسـم التـأثر وتقول أنها تمنت لو بكيت.. ما خفف عني أنـه لم ينظـر لهـا. بـل أخـذني أنـا بحضـنه، وسـألني أن أحكـي لـه.. وحكيـت.. قصـيرة جدًا

شوق××× لتلك الظروف تركتك وعدت للديار . لم تتركني للهدنة . ألححت كثيرا عـبر ذلـك الـدخيل علـى الحيـاة ... الانترنـت الكريه وتلك الظروف انقضت وآنت عودتي العجيب أنك تتعجب أني لست مشتاقة!!!!!!! غيرة××× ذهبت إلى العمل سنينا . ولم تجد الغيرة لقلبك طريقا والآن وأنا بين الجدران المزدوجة وتغار!

حـب ××× تحـبني .... منـذ عمـر مديـد عكـس كـل الرجـال ... الماضـي للـروح

والحاضر للجسد وتريد أن أحبك؟!!!!!!!!!!

نهاية ××× لم تعد لي إلا إن فررت منك أنا لن أفر فأنا لم أعد هنا

هناك وهناك.. تحت تلك الخميلة، وقف في بنطاله الأزرق، وقميصه الـ (كاجوال) البرتقالي، يمضغ العلكة، ويتأمل الأجساد المكشوفة في لباس السباحة، لا تقترب من الماء، وإنما تلهو في الشمس، وتستعرض تقاسيمها على الأعين الجائعة.. وعيناه هي الأكثر جوعًا بينهم.

هناك.. عند البوابة رفضوه، وردوه خائبا، حين أتى في زيه العادي – الوطني – وأسمعوه ما اعتبره – حسب ما تعوَّد في سنوات غربته للدراسة ببلاد الغرب – تعدِّيا على كرامته وحريته الشخصية.

أما هناك.. في ركن الـ (كامب) فقد تحدى وصاية الحكومة، وفعل كل ما أراد من حلالٍ أو حرامٍ. دقَّ الأرض بقوَّةٍ، وسجَّل أقوى اعتراض وسبَّة.. في حكومته.

هناك.. في بلاد الغرب، تعلّم أن أفضل ما تكونه هو نفسك، وأن إخفائك لحقيقتك لا يغيِّرها. عايروه – دون تصريحٍ – بأنه ينتسب لأصحاب الـ (غُطرة). رفضت نساؤهن عروضه – إلا العاهرات منهن - .. وتحطم غرور غنوته المفضلة (عربيٌّ أنا اخشيني...) حتى كره من ألفها ومن غنّاها.

هناك.. حيث عاد.. إلى جلبابه، وغطرته.. وتبجيل حكومته.. رأى تلك الواجهة الزجاجية. دخل إلى مسئول المحل، شاهرًا بطاقته (المرعبة) متهمًا إياه بإهانة البلد

وحاكمها وقوانينها.. فعليه أن يخلع كفوف الـ (مانيكانات) اتقاءً للحرام والشُبهة.

وهناك.. بعيدا بعيدا.. في مرَّتهِ الثالثة بعد المائة.. عاد إلى الـ (كامب) مطمئنا آمنا.. طالما تجنب إهانة البلد والحاكم والقوانين.. فجلبابه بالبيت معلق تحت الغطرة، محفوظا من الدَنَس.

obeikandl.com

عين الحسود فيها عود يا حلاوة

يرفع ذيله حتى تظنه عامودًا مصبوبًا، ويقف أسفل السلم مترقبًا.. يصدر ذلك المواء المختلف جدًا.

هو لا يحبه منذ أحضرته.. ربما فقط لشهور قصيرة حين كان في وجهه جمال الطفولة.

حين جن جنونه، لينزل إلى الشارع، راقبه لدقائق، ثم فتح له الباب، وأخرجه بركلة، شهقت لها.

قمت إلى الشباك أتابعه.. لا أدري هل التفت إليّ حقا، قبل أن يصدر ذلك المواء الغاضب، ويجري، ليختفي، أم هيئ لي. ربما مخطئة أن ألاحقه في تلك اللحظات الخاصة جدًا له، لكنني لا أستطيع منع

نفسي.

أراها.. إنها زبونة دائما لسلال القمامة، لها عين عمياء، ويبدو على جلدها المرض، في المناطق التي سقط شعرها فيها.

كدت أصرخ عليه، حين رأيته يناوشها.. لكنه سبقني، وابتعد معها وراء صناديق القمامة.

ربما حتى لو كان قريبا، ما ناديته.. بالأكيد كنت لأخاف أن يسمعني هو، فهو لم ينم، كما يتظاهر على الأريكة.

مر اليوم، واليومان قبل أن يعود.. من حسن الحظ أن عاد، ليجدني أترقبه وحدي بالبيت، فغريمه نائم بعد أن أعطيته الحقنة في موعدها. حملته إلى الحمام، فاستسلم تماما، ولم يصدر اعتراضه المعتاد. استرخى

بعدها، والتهم ما وضعته له، ثم نام.

ابتسمت، وأنا أعبث في شعره بأصابعي، أستشعر سلامه النفسي.. ضحكت كثيرًا حين تخيلت إنني ربما لو كنت عمياء العين، مريضة، لما تمسك بي أبي أمام الخاطبين في تلك السنوات الغابرة.

obeikandl.com

مُتَيَّم

صغيـــــــر وسط ذلك المعبد الضخم.. لا يكاد يبين إلى جوار عمودٍ فيه.. أمام تمثال الإلـه يقـف.. صـامتٌ لسـاعاتٍ.. في خشـوعٍ يقف..

يبكي قلبه لا لسانه الكلمات..

تجلـــى كـــي تـــراك هنـــا عيـــوني
فقـــــد زاد الزمـــــان لظـــــى جنـــــوني
فهـــب لـــي نظـــرةً تشـــفي جراحـــي
تُرتِـــق مـــا تـــأجج مـــن شـــجوني
أجـــبني يـــا حبـــيبي أيـــن أنـــت؟
و خلِّصـــــني بعطفـــــك مـــــن ظنـــــوني
فقـــــد ذابـــــت عيـــــونُ القلـــــبِ شـــــوقاً
كـــــأن الشـــــوقَ لا يحيـــــا بـــــدوني
و دونـــك كـــل شـــيءٍ، فاهـــدِ قلـــبي

و كن مطراً تنزِّل من مزون

إذ ينتهي من مناجاته، يمسح دمعاته، ويقف رافعًا عينيه إلى تمثال الإله.. تأخذه الرهبة حتى يكف عن النظر.. ينصرف، وفي قلبه أمل ورجاء العبد المحب.

أيامه تمر.. قسوتها لا تتريث في القرار، فتضربه وتشتد.. فقط كعادتها.

وكعادته، يبكي خائفًا أن يكون ذلك ليس إلا غضب إلهه إذ يقصِّر نحوه. ليالٍ يقضيها في بيته لا ينام.. يدعو.. يتذكر التمثال فيرتعش بدنه.. يسجد طويلاً لصورته في خياله.. ويأمل كل ليلٍ في غدٍ.

ينتهي الأسبوع، ويجئ يوم إجازته، يهرول إلى المعبد.. ينبطح على الأرض أمام تمثال الإله. يدعو ويدعو كما لم يفعل من

قبل.. يتساءل عن تلك الجفوة.. لماذا لا يجيب له دعوة، ولا يترفق به في قدر.. لو أن الحجر سمعه لانهار حبًا له.

يمضي الوقت، ويخلو المعبد مع دخول الظلام. لكن يظل هو في مكانه.. خلا عقله من كل أمنيةٍ ودعاء، إلا شيءٍ واحدٍ امتلك ناصية الرجاء في قلبه..

لرؤية نورِك القدسي غصةُ قلبيَ اشتاقت سئمت العيش و الدنيا و نفسي بالورى ضاقت و شاخت بالأسى روحي لهول و فرط ما لاقت رفع رأسه إلى عين التمثال كأنما ينظر في عين الحبيب..

تنزل ها هنا نوراً يريح الحائر المشتاق لتسعد في الدنا روحاً تضيق بلوعة الأشواق إلهي : إن بعض الوجد يمحو دكنة الأحداق

يقترب من التمثال زاحفًا.. يمد ذراعيه على اتساعها محاولاً احتضان قاعدته.. يجهش.. أنا المكلوم يا ربي و لن أشفي بغير رضاك فدعني أعبر الآفاق و الأوجاع حين أراك و هل يرضيك هذا التيه يا ربي لمن يهواك؟

اتسعت عيناه وهو يجترئ على الدعاء بما تمنى.. رفع صوته حتى ظن أن السماء ترتج له.. ردد المعبد كله كلماته..

ضاق الفؤاد / تعاظمت أشجاني
يا ربنا دعني أراك تراني
أرايت ربًا لا يجيبُ عبادَه
هل يُستجابُ الذكرُ بالنسيانِ؟
دعني أراك انزل إليّ فلم يعد
في القلب ما يقوي علي الخفقانِ
جيش الشكوك اجتاح روحيَ فاهدني

وصلاً يذيب الشكَ بالإيمانِ

ترتجف السماء.. تتخبط سحاباتها العلا فتصيح رعدًا لا يصل إلى الأرض، بل يزعج تلك الرحابات المنعزلة عن الأرض وصخبها.. يلتفت ليرى ما الذي يحدث.. ينظر إلى الأسفل.. بعيدا بعيدا.. ما ذلك الكائن الضئيل الصارخ.. يصل صوته إلى أذنيه مبتهلاً بكلماته المجترئة:

أرأيتَ ربًا لا يُجيبُ عبادَه
هل يُستجابُ الذكرُ بالنسيانِ؟

أجن ذلك الحقير؟!.. ينصت إليه.. يوجعه الكلام، فلم يزل له مشاعر الإشفاق.. يفكر.. يقترب أكثر من الغيمة الفاصلة بين حدود البشر وغياهب المجهول الربوبي

في السماء.. يراه محتضنا تمثاله في منظرٍ لم يتخيله قبلاً.. أيمكن أن يصل التعبد بأحد هؤلاء الحمقى إلى هذا التولُّه؟!

يسمع شهقة عبده.. تتلاقى عيناهما، فيؤخذ للحظة.. لقد رآه.. يبدو أنه شرد مع ما يراه حتى غفل ونزل أكثر مما يجب. حار قليلاً فيما يجب أن يكون..إنها أول مرة يراه بشر.. مد بصره إلى الأسفل ثانية..شهقة العبد.. ذهوله.. قد خر ساجدًا باكيًا.. أحقا يحمل كل ذلك الإيمان به في قلبه؟! لم يتخيل أن يكون يومًا إلهًا إلى ذلك الحد. يهدأ بكاء الفتى قليلاً، لا يصدق أنه رآه، فيرفع رأسه ثانية..

والتقت عيناهما.. في عيني الإله جمود وقوة.. وبعين العبد حب وإجلال وخشوع..

ربما للحب قوة تفوق جمود الآلهة..!

تمهل يا عظيم الحزن و اهدأ و استرح و اسمع تجلت قدرتي في الكون قد يضنيك إن ألمع و لو كل الذي يدعو يجاب لماجت الأدمع أجيب دعاء من أبغي و بعض الشوق لا ينفع و كم من عابدٍ ظمآن يدعوني و لا يجرع سأنزل إنني الماحي جوي المنكوب إذ أسطع ستظفر بالذي ترجوه من كرمي فلا تجزع ضياء يملأ ذلك الحيز الذي يشغله التمثال.. فقط.. كل ما حوله ظلام، والتمثال يتألق بنور الإله وحده. يلجم الفتى لا ينطق.. تتجمد دمعاته وشهقاته وكلماته. يتساءل بينه وبين نفسه إن كان قد أخطأ في رجائه.. وإن كان سيصمد أمام تحققه.

يومئ له أن اقترب.. يتردد.. فيشير له

بصولجانه، ويعلو الجد وجهه، فيرتهب الفتى ويقترب مرتعشًا.

بكل هيبته يفتح فمه ويتكلم ليقول فقط..

- أيها العبد..

يعود فيبتسم في عطف ويسكت..

الفتى لا يدري ماذا به.. هذا إلهه الذي طالما تمنى رضاه.. تمنى أن يسمعه.. وتمنى أن يفوز بحضرته. رغم ذلك لم تقع كلمته في قلبه إلا قاسية.. قاسية قسوة أقدار الإله عليه طوال حياته. يعرف أنه عبد له، ولطالما استمتع بتأليهه.. لكن أتلك هي الكلمة التي يناديه بها مقابلاً كل ذلك الحب؟!.. تذكر أول ما عرف الآلهة.. أحبه هو دون أي منهم.. تلك الابتسامة التي اختلطت بجبروته

جعلته يأمل فيه ما لم يأمله في غيره.. لكنه الآن لم يدعه إلا .."العبد"

طأطأ رأسه، ورد:

- نعم يا رب

قهقه الإله.. ارتج التمثال الذي يتجسد فيه.. ارتج قلب الفتى معه.. يحب ابتسامته التي تعده بما يرجوه – رغم أن شيئًا من رجائه لم يتحقق- لكن تلك القهقة مفزعة!.

سأله عن حبه له.. عمن علّمه حب الآلهة.. سأله إن كان يريد مكسبًا من وراء دعائه.. حزن الفتى من ذلك السؤال.. عصر الحزن أضلعه

سأله، وسأله، وسأله... وتعجب منه.. وانتفخ صدره إشباعًا.. له أن يتيه على سائر

الآلهة بحب ذلك الفتى، فمن منهم يحظى بذلك التدله غيره..

تكلم وتكلم.. فقط مغترًا.. كأنه لم يرَ من كل ذلك الحب إلا مأربه من النشوة..

أنا العلوي و القدسي في ديمومة الملكوت و يعبدني الورى جبراً لأني صاحب الجبروت أنا الرب الذي يختار من يحيا و من سيموت

نظر لعيني الفتى.. رآها؟.. نعم رآها.. رأى فيها الدمع.. رأى الرجاء.. فانتشى أكثر وأكثر.. كان رجاء الفتى حارًا كما لم يكن من قبل.. لكنه لم يكن كما كان من قبل!..

توسل و استعر شوقاً وقبّل طينة العتبات تذلل بالدعاء إليّ في التعظيم و الصلوات

obeikandl.com

أشاء فأفصل الأحياء يا عبدي عن الأموات

وجم الفتى.. نظر إلى إلهه فيما يشبه العتاب..

كان التيه بذاته قد بلغ مبلغه، فلم يرَ نظرة

عبده الزائغة. عقل الفتى كما كوكب

فقد مساره، فتهاوى في ظلمات بلا نهاية..

أفاق إلى نفسه، فوجل قلبه حين أدرك كم

طالت نظرته لإلهه.. لم يجرؤ على فعلها أبدًا

أمام التمثال!

لماذا لم يعُد في النفسِ ما للربِ من علياء؟

و غابت شمعةُ التقديسِ، و الدنيا بغير ضياء

جريحٌ بين حد الكفر و الإيمان في الهيجاء

و هل للربِ بعد الآن أرضٌ تصطلي و سماء ؟

طال اللقاء حتى لم يعد هناك ما يقال.

الرب راضٍ منتشٍ.. والفتى ابتسامته ظاهرها

فيها الاستكانة، وباطنها فيها ثورة رعناء تجلد كل عمره الفائت.

امتدت يد الإله فمس كتف الفتى لحظة، قبل أن يقهقه، ثم يختفي، والمعبد والهواء والنجوم يرتجون لصوته. بعدها، هدأ كل شيء.. صمت.. ظلام.. ودموع لا تسكن.

قام من مكانه، وبدأ مشواره إلى بيته. يطل هنا وهناك.. يتأمل ما حوله زاهدًا في كل ما حوله. يبحث عن الأمل بداخله، فلا يجده.

أسبوع.. أسبوعان.. أشهر.. والفتى حريص لا يزال على الإتيان للمعبد يوم إجازته. فقط يقدم قربانه.. دعوته.. ويعجز عن تقديم قلبه.. فلا يملك إلا البكاء.

obeikandl.com

القـوم يرونـه، فيغبطـون إيمانـه وبكـاءه للإلـه.. شيئًا فشيئًا يـذبل.. في طريقـه للمـوت أمسـى..

يسـمع الهمهمـات حولـه.. يريـدون إحضـار أعظم كهنة المعبد لأجله.. يسمونه القديس.. يسمعهم يحكون عن رحلة آلامه التي منحها الإله له ليكرِّسه قديسًا.. يدمع..

أنـا الرجـل الـذي أضـناه عشـق النـاس للتهويل

أواجه غصة الدنيا بجسم مثخنٍ و نحيل
و هل يقوي علي التحليق طير متعب و هزيل؟

ويضـحك سـاخرًا في نفسـه وهـو يـراهم يرسـلون أحـدهم ليسـرع إلى الكهنـة ليـدركوه ببركـة الإلـه قبـل موتـه.. كفـرت بـربكم سـراً لأجهـر للسـما بالسـر

و بعض الكفر إيمان و إيمان الفراغ يضر
براح القبح يا قومي يضيق إن استفاق الحُر

يدخل موكب الكهان.. يتسع لهم الطريق والحضور يلتصقون بالجدران في مهابة، وقد فوجئوا بكل ذلك الموكب.. يتكلم أكبرهم شارحًا أن الكهنة أجمعوا أن لم يروا متبتلاً للإله كما هذا الفتى الدامع أبدًا.. يبدءون في إنشاد صلواتهم للإله.. تتسع عيناه يريد أن يصرخ فيهم... ولا يستطيع..

أنا كافر بك يا إله الشوق في حضن الجراح

ويحسب الجهلاء أن الكافر العشاق للتحنان قديساً يموت

ما أقبح الأرق الطويل وقد تعاظمت

الحماقة

و استحال الكفر إثباتاً لتبجيل الخضوع

بساحة الرب المزيف

و اللذين تجمعوا في مشهد الموت المهيب

obeikandl.com

ربما

كل يوم يجلس وأمامه تلك الليمونات القليلة، التي ربما لا تقل ولا تزيد. كل وقت هو ناعس العين، غير منتبه لمن يضع له ورقة، أو قطعة فضية بجوار الليمون، ويمضي دون أن يأخذ من الليمون مقابل ما دفع.

كنت منهم يوما.. في الحقيقة أكثر من مجرد يوم. كانت فكرة أن ما يدفع شيخا في سنه للنزول إلى الشارع، للارتزاق ببعض الليمونات، هو بالتأكيد عيش فظ، لم يرحمه فيه الزمن.

مرة.. ومرات، ثم بدأت أغتاظ منه.

لا أدري سببا معينا لغيظي. أهو إنكاري لأن يكون دافعه هو العيش القاسي، أم

obeikandl.com

استنكاري لعدم بيعه الليمون مع القبول بالشحاذة؟.. ربما هو البرود المرتسم على وجهه، وتلك العينان الناعستان، اللتان لا تلتفتان، ولو بشكر لمن يعطه.

واتتني فكرة شريرة.. انحنيت أمامه، وفتحت الكيس البلاستيكي معي، وأخذت كل الليمون من قفصه، ووضعت مكانه ما قدرت أنه قيمته من المال...و..

سمعته يسبني وأنا أبتعد، والضحك يغلبني.

obeikandl.com

حادث

مستهترا!.. أنا من أوصف بتلك الكلمة!.. لم يحدث ذلك في حياتي كلها، منذ كنت بصف الروضة بالمدرسة لم توجه لي.. فهل أسمح بأن تقال لي الآن؟!.

أتلفت حولي.. كل تلك الفوضى هنا.. يخفق قلبي إذ أرى سيارتي العزيزة محطمة، فأهم إليها، لكن أقف فجأة.. فالمشهد واضح، والسيارة هي سبب الفوضى وليست ضحيتها. أتذكر ما حدث.. أود لو بكيت.. لكن..

الحقيقة.. إن قلبي لم يخفق.. وأنني لم أود البكاء.. فقط أسترجع مثل تلك الرغبات كرد فعل تعودته طويلا.

يطلق أحدهم سبة أخرى.. أتحفز.. مغتاظ

أنا بشدة – أو هكذا أفترض أنني يجب أن أكون- ، وأريد أن أشرح له خطأه. لكن لا أستطيع..

ألتفت ثانية إلى سيارتي الحبيبة.. بالتأكيد ستحزن زوجتي كثيرا. لكن ذلك لا يهمني الآن، فما يوجعني هو فقط إهانتي واتهامي بالاستهتار..

اقتربت ممن يبدو أنه صاحب الدكان ذي الواجهة المحطمة. له الحق أن يغضب، فربما أن الواجهة المتكسرة والبضاعة التي خسرها أغلى حتى من خسارتي في السيارة.. لست كما يصرخ شابا سكيرا، ولا مستهترا، ولم يتسبب استهتاري فيما حدث لي..

أريد فقط أن أشرح لهم.. أنني هنا من

قبل الحادث.. وليس الحادث ما أرسلني هنا.

زعابيب

كانت تعرف أن كل ما حكته (ميس) الناظرة هو الحقيقة. تعرف أنها لو عاد الزمن لما ترددت في نفس الفعلة.. تعرف أيضا أنها لا تعرف كيف تبرر ما فعلت.. وتعرف الخوف بمعناه الأمثل وهي تنظر لتعبير وجه كلتيهما.

- غريبة جدا عمرها ما عملت كده

تنظر الناظرة للفتاة بقسوة، وترد:

- تصرفها مشين ولازم تكونوا حازمين معاها. المرة دي.. ولي أمر مريم ما رضيش يشتكي واكتفى بضرورة استدعاءكم، لكن لو اتكررت ما اضمنش اسيبها تستمر في المدرسة.. احنا مدرسة عريقة ولها

سمعة طيبة.

تشد على يد ابنتها ، حتى تتأوه البنية ، وتحاول إفلات يدها.. تميل عليها ، وتسألها :

- ليه بس عملتِ كده؟ انا مش فاهمة.. طيب هي زعلتك في حاجة ، ولا اتخانقت معاكِ؟

" بتجري قدامي وضفيرتينها بيتمرجحوا ويخبطوا على ضهرها"

كانت تجيب نفسها.. تنظر لأمها مستجدية فهمها لما لا تنطقه.. أليست أمها!

- يا بنتي انطقي.. عملت لك حاجة؟

ترفع رأسها وتحدق في أمها..

❖❖❖

- بتوجعيني

obeikandi.com

- بطلي استعباط الشعر ما بيتوجعش
- ازاي وانتِ بتدبحيه بالمقص؟

تضحك من سذاجة تعبيرها ، ولا تعلق مستمرة في تسوية قصتها فوق حاجبيها

- عايزة شعري يبقى طول شعرك يا ماما
- مش وأنتِ صغيرة كده.. يلم حشرات من المدرسة
- ازاي يعني.. طيب مريم شعرها طويل.. بتعمل ضفيرتين.. أنا عايزة ضفيرتين زيهم لحد هنا
- شعرك خفيف.. نقصُّه دلوقت عشان يتقل.. لما تكبري طوليه زي ما أنت عايزه

❖❖❖

obeikandl.com

- جنة! أنت سرحانة في ايه مش تردي على ماما يا بنت.

يفزعها صوت الناظرة فتخفي وجهها في ثوب أمها، ولا ترد..

تشكر أمها مديرة المدرسة.. تكرر اعتذارها، وتعدها ببحث الأمر مع والدها. تنصحها الناظرة بالكلام مع الأخصائية الاجتماعية، فتبتسم مجاملة، ثم تجذبها من يدها إلى خارج الحجرة..

في الفناء، ترى مريم تجري.. لا تزال ضفيرتاها تتأرجحان وتخبطان ظهرها.. تجذب نفسها تجاههما، لكن شدة قوية من أمها الغاضبة تكاد تكفئها على وجهها.. ترمق مريم بطرف عينها في غيظ، بأعينٍ دامعة.

ديكولتيه

ينسحبُ عن الأكتافِ.. متسعًا.. يكشفُ حِملاً.. وجمالاً يزأرُ تحت الحِمل.. والعنق طويلا كنفرتيتي.. يتجرأ.. لكنه لا يعلو أبدا.. أو يفخر بالرأسِ المبهر.. فالحِملُ يشدُّ النفسَ لأسفل.. والأسفل.. أيضا مبهر.. وعيونُ الدنيا لا تهدأ.. وتبحلق.. لا تنظر عينٌ ما تحمِل.. لا تعذرُ تلك الأكتاف.. ما منها رحيم.. لا تفتأ ترمي وتحقِّر.. وملامٌ ذاك ال (ديكولتيه).. معذورٌ طبعا من ينظر.. فالحلوةُ من رحمِ رجيم.

ينسال الكحلُ مع الدمعِ.. تبحث بالعينِ عن الجمعِ.. والأملُ بفرجٍ يتبدد.. أشباحُ الحسرةِ تتمدد.. إذ ذابَ العمرُ مع الشمعِ..منكورٌ ذا الحلمُ مُفنَّد.. وجمالُ الزهرةِ والمرمر.. تعصفه

النـــــوّةُ يتكســـــر.. بـــــأكفِ لئـــــيم.
ويضيق الـ (ديكولتيه).. كي يخفي أعماقًا
أبعد.. لم تعد الأيدي تتودد.. فالوجه المظلم
يتجعد.. والشعر الفاحم كالليلِ.. قد صار
هزيلا يتردد.. ما بين الفضةِ والأسود.. لا يجدُ
نديم. الجسد سيسكن في الأبيض.. والقلب
سيهدأ لا ينبض.. في غفلة كلِ مريديها..
ونفوسٍ كانت تُدنيها.. قد صارت هاربةً
تركض.. كلٌ في شأنٍ يغنيها.. فافتقدت
قلبًا يؤويها.. في الحلمِ قديم.

obeikandi.com

نذير

يقف على حافة نافذتي في الصباح، ليوقظني على نعيقه.. له أكثر من أسبوعٍ يفعلها، منذ أن بدأت إجازتي. أنهض فأجده ينقر زجاج النافذة.. لا بل يحك رأسه بها!!.. أتعوذ بالله، وأقنع نفسي بحرمة التشاؤم.. لكنني أتحرك في الغرفة وهو يتابعني في اجتراء من وراء الزجاج. فكرت مرة أن أفتح النافذة، وأهشه، لكن حين هممت بذلك التفت تجاهي، مرفرفا بجناحيه، وكأنه يتأهب للدخول.

فزعت، وأسرعت أغلق الشق الذي فتحته من الزجاج، وكلي الرعب أن يمد رأسه فأذبحه بالحافة المعدنية. مع صفق المعدن تخيلت منظر دمائه تنتشر على

obeikandl.com

الزجاج، فاقشعر جسدي. تلفت حوالي.. لا يزال الظلام يغلب، ولون الزجاج الداكن يزيد العتمة.. زفرت بنقمة.. لم أر على نافذتي يوما عصفورا، ولا سمعت بلبلا يمر بها، وأخيرًا ذلك الغراب يلتصق بها أياما متتالية.. أي حظ هذا؟!

تأففت، وتوجهت إلى الحمام. إنه يوم عودتي إلى العمل.. واربت الباب، وأنا أطل من ورائه برأسي، فإذا به يبادلني النظر، فصفقت الباب بعنف.

الماء الساخن يرخي أعصابي بعض الشيء.. أجفف جسدي في تمهل، على أمل أن يكون قد ملّ، وطار عني.. أنظر في المرآة، فوق الحوض، فألمح رفرفة وراء زجاج الشباك المسنفر، فأفزع.

obeikandl.com

أسرع بارتداء ملابسي، وأفتح باب الحمام، لأتنهد، لا أدري راحة أم قلقا.. هل اختفى هنا لأنه أتى ورائي بالحمام حقا؟.. ماذا يريد ذلك التعس، فليس لدي ما أعطيه إلا فائضًا من تعاسة.

توجهت للمطبخ، وأعددت لنفسي كوبًا من اللبن الدافئ، وشطيرة من الجبن. أنهيتهما سريعا، وقررت النزول، طالما الوقت مبكرًا، فلأقرر الذهاب للعمل مشيا، فالجو صحو، والبرد منعش.. والهروب من وجه الغراب هدف.

نزلت السلم وأنا أفكر أن زيارته اليومية هذه وراءها شيء.. رسالة من الغيب ربما.. نظرت حولي في الشوارع الهادئة.. لم أنزل من البيت، منذ أسبوع كامل، فابتسمت

للطريق، ولهدوء البكور، وللشجر..

وفاجأني النعيق..

نظرت لأعلى، فوجدته يطير منخفضا.. بالطبع ليس بالتأكيد هو نفسه.

حام مرة.. مرات.. انخفض أكثر، وأنا أحاول أن أطرد صوت التشاؤم من رأسي، وأمد خطاي، متلفتا، في انتظار سيارة ماجنة، أو سكين متربص.. أي شيء كريه يحدث.

أحسست ببلل في قفاي وظهري، فارتجفت قشعريرةً.. أغمضت عيني، ووقفت لبرهة. ابتعد صوته الكريه. مددت يدي لأمسح قفاي، فكدت أتقيأ تقززا.. أطلقت سبة، وعدت إلى البيت..

ولم أره بعدها.

obeikandl.com

مغادِرة

صبغت شعري
نظرت في المرآة
كرهتني
فابتسمت
كنت أعرف أني سأكرهني هكذا
دائما لا أحب إلا لونه الأسود الفاحم
ولأنني وجدتك تغادر
كان يجب أن أكرهني
فصبغت شعري

لبست ردائي البني
أكره اللون البني
أنظر إلى جسدي في المرآة وقد تغطى به

obeikandl.com

فأكرهني

ولأنك مغادر

أردت أن أكرهني

تغادر

ألحق بك على الطريق

وأقف أمامك

بشعري المصبوغ

وثوبي البني

فتبتسم

وتحبني هكذا

لكني لست أنا

فأغادر

وأكرهك

obeikandl.com

المطب

"الولا كمال متجبس داخل في شهر اهوه.. ولا حد مسك المؤذي ابن المؤذي اللي ضربه ولا حد حاسس باللي نابه.. ده موت وخراب ديار.. مصاريف علاج وحكما من جهة ووقف حال لشغله من جهة.. بس أنا مش

obeikandl.com

هاسكت.. إن كان ماحدش عارف يجيب لابني حقه ابوه يجيبهوله"

قرب الفجر، وحركة السيارات هادئة إلى أدنى حدود الحركة على الطريق الزراعي.. يجري رافعا جلبابه بين أسنانه، ويقابل سيارة نصف النقل القادمة من الاتجاه الآخر. يبدأ ومعه السائق – الذي نزل من مكانه – في إنزال الحمولة.. إيقاد اللهب.. وتتصاعد الرائحة الخانقة، التي تثير أزمة الربو لديه، ولكنه يستمر.

.....

لم يره هذه المرة أيضا، وقد غشى المغرب الرؤية.. يضغط المكابح بشدة، ولكن السيارة تحتك بالمطب، فيصر قلبه نحيبا مع صريرها.. لا زالت جديدة، لم يبرد

ثمنها بعد.. ادخر سنوات كثيرة ليشتريها..
يطلق سبة ثم يستغفر، ويدعو بانتقام الرب من ذي العقل الغبي، الذي صنع هذا المطب القمئ.

يطول الوقت بطول الطريق.. لو كانت مطباته آدمية، لوصل منذ ساعات، وقضى مشواره، وبدأ الأياب. لكنهم (حمير).. (مؤذي ابن مؤذي اللي بيعمل كده في عربيات الناس).. يحسد سيارات النقل الكبيرة العالية، التي لا تحتك (عفشتها) بالمطبات. كلما تاب وأناب، سمع السباب من قائدي السيارات حوله، فيقنع نفسه أن الحق معه، وأن سبابه ليس ذنبا.

.....

" زغرودة يا ولية لسلامة كمال"

obeikandl.com

تنطلق الزغاريد من أم كمال، وتجاملها جاراتها، فتملأ الزغاريد الساحة أمام الدار، ويخرج كمال مع أبيه متعكزا على عصا غليظة، ليتجها إلى القهوة، حيث ينتظرهما الرجال، هناك على البر الآخر من الطريق الزراعي.

رغم الحادث، تظل هي القهوة المفضلة له وللجميع..

(الواد عرفة بيعمل كوباية شاي ما تسلاهاش، وبيعمّر الشيشة تعميرة خصوصي صحيح"

يتمهل إذ يصل إلى بر الطريق، وينظر إلى اليمين، فيضحك أبوه..

" ولا عمر عربية هتسرّع هنا تاني يا ولا.. دنا ربيتهم ولاد العز دول اللي ما بيراعوش

حد"

يلتفت إليه متسائلا، فيخبط كتفه بكتف ابنه، ويطلق ضحكته سعيدا.. يعبران، ويدخلان القهوة، وسط ترحيب الرجال وقسم أبي منصور صاحب القهوة أن.. "طلبات كمال الليلة دي عندي.. ده بركة أنك نجيت يا بني.. ده احنا كنا اتشهدنا واستعوضنا ربنا فيك"

يبتسم كمال، ويجلس وهو يربت بكفه على صدره شاكرا.

يطول السمر.. التلفاز لا يلتفت إليه أحد إلا أن أحدًا لا يطفئ ضوضاءه.. خبط (فيشات) الطاولة يتعالى، ومعه سبة أو اتهام بين الحين والآخر، يتلوها ضحك المراقبين.. أكواب الشاي واليانسون والعناب تعلو

الصينية القديمة على يد حمادة القهوجي..
وكلما هل زائر جديد ، ضرب كف جديد بكف كمال مهنئا بالسلامة.. وغابت الشمس.. وعذبت النسمات المعبأة برائحة الزرع في الحقول.. وهدأ الجميع يستمعون الأخبار.

.....

تعب.. لم يعد يستطيع رؤية الطريق.. التركيز، والميل للأمام، ونور السيارات المقابلة، والآتية خلفه منعكسا في المرآة يعمي عينيه ويصيبه بالصداع.. الكل يحاول استكشاف المطبات في الظلام. تبدو هناك قهوة، حيث يمكنه أخذ هدنة من كل هذ الشد العصبي، واحتساء فنجان قهوة يساعده باقي الطريق. يدعو على الغباء

obeikandl.com

والتخلف وعدم الإحساس بالناس..

ويتعالى الصرير فوق المطب..

.....

"دي طارت يابا!"

"يستاهلوا.. مانا شفتك قدام عيني بتطير قدام العربية ولا حد نفعك."

"بس يابا الراجل مات!"

"ما لسه الرجالة بيقولوا لك من شوية كنا مستعوضين ربنا فيك"

يهم بالاعتراض، فيرفع أبوه يده محذرا..

"المطب ده بيحمي ولادنا وبلدنا.. اللي عامل فيها السريع من برة البلد بقى ومش بيحس بيهم ينفلق ويروح في داهية فداك"

يأخذ نفسا عميقا..

obeikandl.com

" وعموما هنبقى أكرم منهم برضك ونكلم الأسعاف يشيلوه"

.....

"الحمد لله يا حبيبي دحنا كنا مستعوضين ربنا فيك.. قالوا لنا كل ده من مطب أهالي.. ربنا ياخد الجهلا اللي مش بيحسوا بالناس دول"

ينظر إليها في حسرة.. يسألها عن السيارة، فترد بكلمة واحدة تزيده حسرة..

"فداك"..

obeikandl.com

تذكرة مترو

حملت الحقيبة متأوهة.. ظهرها يؤلمها.. يمر الشباب أمامها ، فكأنما لا يرون. أحست فجأة بحملها يخف.. التفتت، فإذا بامرأة منتقبة ترفع الحقيبة معها حتى نهاية سلم المترو، ثم تتركها دون كلمة. تمتمت بكلمة شكر، لم تدر أخرجت أم لا. لا تحب المنقبات، لكن المرأة أغاثتها حين

obeikandl.com

تخاذل الرجال.

أخذت تذكرتها، وجرت الحقيبة على عجلتيها لتكمل مشوارها، وأخذت تعد محطة.. اثنين.. ثلاثة.. ونزلت في الرابعة.

رن هاتفها.. كان ذلك الرجل، صاحب الأمانة التي حمّلها لها زوجها لتوصلها له، هدية من أخيه، رفيق زوجها في غربته. تسمعه يقول لها إنه على الجانب الآخر من المحطة. صرخت به أنها لن تحمل كل ذلك الثقل صاعدة سلمًا آخر. انتظرته في مكانها، شاردة في ألم ظهرها.. رن الهاتف.. تنظر إلى مكالمة لا يظهر رقمها.. إنه هو – زوجها- يطمئن، أو يكلفها مشوارا جديدا. أتى، قاطعا أفكارها.. صافحها، وأطال بقاء يدها في يده، ناظرا في عينيها،

فتصنعت عدم الانتباه.. فحمل أمانته (الثقيلة) عنها أخيرا ، ورحل.

أقامت ظهرها ، بعد أن تحررت من حملها.. نظرت إلى عباءتها ، ربما بها خطأ ما ، هو ما جعله ينظر إليها بتلك الطريقة ، فلم تر في نفسها شيئا ملفتا. زفرت بضجر..

دقت رقم ابن أختها ، وكانت واعدته أن تقابله ، لترى تلك الفتاة ، التي ارتبط بها ، ولم يخبر أمه بعد. بينها وبينهما محطتان ، فركبت المترو ، وانتظرتهما على رصيف المحطة ، فهما سيأتيان في نفس الاتجاه.

لمحتهما من بعيد ، فابتسمت.. إشراقة الأمل في محييهما فتحت أفقا خياليا جميلا أمامها.. الفتاة تطمئنها على عزيزها الغر ، بطيبة متبدية في قسماتها ، وعفوية مريحة

obeikandl.com

في حديثها. تلك النظرة، التي في عيونهما، تذكرها بسنوات قديمة.

ودعتهما، وانطلقت إلى المترو، لتكمل طريقها لزيارة أمها، ومقابلة أختها، التي تركت بيتها، زاهدة في زيجتها، بل وأبنائها أيضا، راغبة في الالتجاء لطبيب نفسي. تريد أمها منها أن (تعقّل) أختها، وتخاف هي أن تنجرف إن حادثتها مع حقيقة رأيها في الأمر. تهز رأسها في اشمئزاز، وتكمل محطات أخرى بعد تلك المجاورة لبيت أمها، وتلغي فكرة الزيارة.

تبحث عن التذكرة، تضعها في مكانها، وتراقبها والماكينة تأكلها.. تبتسم، تسرع خطاها.. وتدلف إلى البيت في استرخاء.

obeikandl.com

آثار جانبية

(١)

هو.. اعتاد أن تغازله البنات

هي.. يبهرها أن الفتيات تغازله

.....

متعبة.. كأن بكل جسدها وخزًا. تلف جسدها تجاه الدرج إلى جوار الفراش، وتأخذ العلبة، فتلقي بها في غضب خارج الغرفة.

تفتح عينيها أكثر، تتحفز ليوم مليء

obeikandl.com

بالمواعيد واللقاءات، تقفز إلى المطبخ، فتترك الماء ليغلي في الـ (كاتل) وتجري في رشاقة إلى الحمام.

تغمض عينيها تاركة الماء يغسل آثاره من جلدها، ومعها كل ما يمت له بصلة.. تنتهي سريعا، لترتدي سروالا خفيفا، وقميصا زاهيا، وتعد فنجان الشاي الأخضر الضخم، وتضعه أمامها على الأرض، جالسة القرفصاء أمام الشرفة المفتوحة، لترسل النسمات تحمل رائحة الياسمين الممتزج بالشاي إلى أنفها، فتأخذ شهيقا عميقا، وتبدأ دقائقا من الـ (يوجا) يذهب فيها عقلها إلى اللاشيء.

يدق المنبه المزعج، هي تختاره مزعجا، تقول إن ذلك هو الأنسب لدوره.. فتفتح

عينيها شديدتي السواد، كأنما جوهرتان تألقتا في ضوء الصباح، وتمسك فنجانها بكفيها، كأنما تحتضن وجها حبيبا، ثم تسند ظهرها إلى صوان الملابس، وترتشف الشاي باستمتاع.

.....

هي.. تعمل في جدٍ كعشر رجال

هو.. لا يفتأ يتحدى صمودها

.....

تلك الملفات المرتبة على شاشة حاسوبها، تماما كما اليوجا، تجعلها مع اللاشيء. الانتباه الروتيني نوع من الشرود، كما تقول هي. يتكرر اسمه في كل ملف، وفي كل ورقة على مكتبها، حتى ملته.. ربما لأن صاحب الاسم أكثر مللا.

obeikandl.com

حتى في الاستقبالات، أو المناسبات، من عشاء عمل إلى حفل لا معنى له.. إلخ، روتين الابتسامات، وكلمات المجاملة، والالتفات للكاميرا واحد، ممل، ينبغي معه الشرود.

قررت.. الآن وبلا مقدمات، ووضعت الورقة على مكتبه، ضمن ورقات أخر. بعد قليل، دخلت إليه، فأخذت أوراقها، وسحبت من بينها إجازتها، فأرسلتها مع عليّ إلى الموظفة المسئولة. دقائق قليلة، ودخل إليها زميلها، يزفر نارًا..

- ازاي أقوم بعملك وأنا هاتجوز كمان أسبوع وأنتِ عارفة كده؟

ترفع كتفيها، وتقلب شفتيها دون أن تلتفت إليه، فيزداد غضبا..

- أنت ما بتحسيش بحد غير نفسك

أبدا؟

يحمر وجهها، لكنها تحتفظ بهدوء صوتها، وترد:

- أنا قدمت الطلب بدون ما أكتب فيه قائم بالعمل وهو وافق.. اتفضل كلمه!

أشارت له بالدخول، ليلتفت إلى الجدار الزجاجي، ويجده مراقبا لما يحدث، وهو يتحدث بهاتفه المحمول. يعاود النظر إليها، وقد احتقن وجهه..

- طيب كفاية يومين تريحي.. أنا عارف أنك بتحتاجي هدنة منه كل شوية ومافيش مرة قلت لك لأ.. بس المرة دي أنا أولى باليومين دول دا أنا عريس يا شيخة.

كانت نبرته أقرب للتوسل.. رفعت عينيها إليه، وكادت تتعاطف معه، وتمد

obeikandl.com

حبال صبرها ، لتؤجل إجازتها ، لكنه صوت ذلك المنبه المزعج يوقظها ، لتتمسك بموقفها..

- لو ما طلعتش النهاردة مش راجعة الشغل تاني وتتنقل أنت هنا على طول مش مجرد أسبوع أرتاحه.

هم بالرجاء ، لكنها رفعت كفها أمامه ليصمت ، واستطردت..

- فرحك الجمعة مش كده؟ خلاص أنا هارجع من الأربع دا وعد مني بس مش هاغير الأجازة احتياط لو ما قدرتش ارجع.

لم يكن بيده حيلة ، فإن كان يحتاج للوقت لإعداد نفسه ، ففي نفس الوقت يحتاج العمل ، ليتحمل مسئولياته الجديدة. تركها ، تابعته بعينيها مشفقة ، لكن –

obeikandl.com

كما تقول- ليس في يدها ما تفعله لأجله.

يحين الانصراف، فترتب أشياءها ،
وتهبط الأدوار الاثنى عشرة على الدرج،
وهي تعد الدرجات ككل مساء، كي
يرسلها العد إلى اللاشيء.

.....

هي.. تتنصل من تلك الساعات في عمرها

هو.. يقول إنها متطلبات العمل

.....

هي.. تحتاج هدنة من الوجع

هو.. يحتاج لمولود الوجع

.....

هي.. تصر على الاغتسال في ملوحة
البحر

obeikandl.com

هو.. يصر أن يكون هو البحر المالح

.....

هي.. تدمج كل الألوان في إشعاعاتها

هو.. يحلل لون النور كمخروط

(٢)

البحر.. السماء.. الرمال.. شمس البكور.. واليوجا

تعجز اليوجا هذه المرة عن إرسالها للأفق.. تفتح عينيها ، وتبدأ من جديد ، أكثر من مرة؛ لكن كل ما تكرهه يقفز إلى رأسها ، ومنها إلى عينيها السوداوتين، لتولد دمعة أملح من البحر.

obeikandl.com

تتنهد في يأس، وتقوم من مجلسها، لتركل الرمال في وهن، ثم تتمشى على حافة الموج.. تعبث بقدمها في الماء.. تندمج أكثر، فتجري إلى الموجة القادمة، حتى إذا كادت تلامسها، فرت منها في مرح.. علت ضحكتها، لتتداخل وشوشة البحر، وتطاير شعرها ليشاغب نسمات البر.. وخاف ثوبها كل تلك البهجة، فالتصق بها، يبتغي دفئا لن يجده.

وأتى..

من البحر يأتي.. كل مرة يأتي.. كل مرة في موعده.. الوحيد في واقعها المنتمي للـ.. لاشيء!

.....

هو.. الحقيقة الحلم

obeikandl.com

هي.. الهاربة

(٣)

استسلمت للبحر في جزر أعقب المد. الماء يسحبها ، فتضحك.. كم اشتاقت للغرق.

سلمت جسدها ساكنة ، فأحب الموج سكونها ، وحملها في هدوء. انسحبت للداخل، فراسخ وفراسخ، حتى تلك الدوامة – الطريق- .. لو ظلت على استسلامها ، لما انتهت لفات دوارها ، فاعتدلت واقفة. عافرت الدوامة ، لتأخذها للغرق أكثر،

obeikandl.com

وتنقطع أنفاسها ، فتصبح مقاومتها أكثر طبيعية ، فتغلبها الدوامة اكثر ، وتضيق دوائرها ، وتزداد ظلمتها. وينضغط صدرها ، وتتحول حركتها إلى انتفاضات أخيرة ، و...

تشعر بضغطة ذراعيه حول صدرها.

تستدير في فزع ، فتجد شفتيها بين شفتيه ، يدفع فيها أنفاسه ، وتتسع عيناه مع عينيها ، ويزداد تألق مقلتيه عن ألق الشمس في السماء.

شفاف هو.. شعره زبد الموج.. عيناه شمس الغروب.. وملمسه انتعاشة الماء. يكمل ما بدأ.. يحييها من غرقها.. ينعشها باثا فيها حيويته..

تطرد تساؤلها المزمن عن حرمانية تلك المتعة.. تسقط صريعة الإنهاك ، حتى تشرق

الشمس.

....

تلملم قطع الملابس المبعثرة في الحجرة، وهي تمسك هاتفها بين رأسها وكتفها..

- لأ خلاص جاية ..... أنت بس بلغهم أني هأتأخر ساعتين وخد أنت أجازتك .....
مبروك يا عريس .... لا انا خلاص كده تمام مش محتاجة أكمل .. هههه فعلا أسرع عودة من أجازة آخدها بس اهي تساهيل.

.....

هو.. ينقذها دائما

هي.. تسعى للغرق

obeikandl.com

(٤)

كم هي محبطة هذه الجدران.. كأن لديها قدرة على امتصاص أي طاقة إيجابية تكتشفها فيمن تضمهم. لكن الأمر ليس كذلك معه، إنه دومًا منتعش.. دومًا.. ياللعجب!

تجتر ذكرياتها، وهي تؤرجح الكرسي الهزاز في جلستها أمام الشباك الكبير.. وكلما راجعت ذكرى، لم تستطع إلا أن تلقي بكامل اللوم على نفسها. لم يسع إليها يومًا؛ بل هي من سعت بشدة، مبهورة ومتحدية كل من تحطنه بعيونهن ورغباتهن. لكم رسمت ظنونًا ساخنة كلما اختفى ولم تظهر إحداهن أيضا. لكم سعت لإغرائه؛ دون أن تتعدى الحد الخطر.

obeikandl.com

تضحك – أي خطر؟! - .. كمجنونة يعلو ضحكها، حتى تنتبه لذلك الشاب المحدق بها في الشرفة المقابلة، وهو يمتص سيجارته في نهم، حتى غاص خداه، واحتبس الدخان في صدره، لا يخرجه. تتأمله للحظات، ثم تنسى وجوده.. وتعود لذكرياتها.. وتضحك.

الشمس غابت تماما.. الصيف حار، وتحتاج لمشروب مثلج، يأتيها في مكانها.. كم هو مضجر أن تقوم لتأتي به. لكنها تقوم.. لا يفوتها أن ترمي ببصرها إلى الشرفة، لتتأكد أنه لا يزال هناك، يشعل سيجارا جديدا.. ليس شابا صغيرا، بل يبدو أكثر نضجا. تتجه إلى الثلاجة، فتفتح بابها، وتضع يديها في خاصرتها، مفكرة

oberkanal.com

أي مشروب تختار. تستقر يدها على زجاجة ماء فقط، فتأخذها، وتعود.

تخبر نفسها أن الظلام قد حل – ربما تكذب – فتحل الـ (روب) وتتمدد في الأرض قريبا من الشباك، مقنعة ذاتها أن لا أحد يكشفها من الجيران. تسرح في السقف.. تتذكر البحر، وتبتسم. هذه المرة تبتسم حقا.. ابتسامة متعة لا لوم فيها ولا ألم.. ابتسامة امرأة نالت ما أرادت.

يرن هاتفها، فيقاطع ابتسامتها. ترفعه إلى عينيها، فتلوي شفتها، ثم تضعه على أذنها.

- ها .... عادي يعني .... لا رجعت عالمكتب ومنه عالبيت ..... ما هو نرمين قالت لي إنك لسه خارج ..... لا طبعا ماليش

خُلق أقابل حد ، عايز تسهر معاهم اسهروا برة ..... لا مش هاتضايق ما تقلقش، يهمني تكون مبسوط زي ما بتسيبني أسافر برضه ..... باي باي يا حبيبي.

جيد أن سيسهر بالخارج.. تثني ركبتيها إلى صدرها.. تعرف أن ساقيها سيظهران لمن ينظر نحو شباكها ، وتعض شفتها في عبث.. تنزل بهما إلى الأرض، وتنظر للشباك، فيفاجئها هناك، وقد اعتلى سطح بنايتهم، وتوهج سيجاره يبرز في الظلام كعين شيطان.

فزَّت من رقدتها غاضبة ، وجذبت الـ (روب) من على الكرسي، ولبسته ، وأسندت ظهرها إلى الحائط أسفل الشباك، حيث لن يراها ، وقد تصهد وجهها غيظا.

obeikandl.com

دقيقة أو ربما اثنتين، وهدأت.. بل ابتسمت..

رفعت رأسها قليلا، لتجده قد ذهب، فعادت لرقدتها، متدثرة في (روبها) تاركة الهواء يطيِّره قليلا، إن شاء.

هو.. راضٍ بها

هي.. تبحث عنه

obeikandl.com

(٥)

العلبة كما هي في الأرض منذ ذلك الصباح.. أسبوع تقريبا.. هو يأنف أن تنظف أشياءه وأماكنه خادمة، وهي تأبى أن يصبح التنظيف عملا روتينا لها.. فقط حين تتفضل به على البيت تفعل. تعبث بها بقدمها، وتدفعها أمام خطواتها.. تكرهها؛ رغم أنها المفتاح الوحيد لإزالة احتقانها المزمن كل فترة.

يخاف على نفسه من أي تركيبة دوائية، أو حتى لون صناعي في مشروب غازي. لذا، فهو يفضل ألا يفعل، عن أن يلجأ لساحر الرجال الأزرق. تظل هي من سعت إليه، فلا يمكنها لومه.. حتى وإن لم تكن تعرف.

obeikandl.com

مشكلة المشاكل الآن أن أمه تريد حفيدا ، هي لا تريده.. تريد أن تكون أنثى ينتج عن حبها طفل، لا مفرخةً تنتج الطفل الذي تنتظره العائلة الكبيرة وريثا. هي تتمنى الطفل من ابن الموج الذي يمنحها أنوثتها.. حتى وإن قالوا إنه ابن الحرام.

تركل العلبة في ضيق نحو سلة المهملات بالمطبخ، وتتجه لكرسيها الهزاز.. تسترخي فيه كثيرا.. تعيش أيامًا مضت كانت تعشق فيها الأرجوحة، ويأباها عليها أبوها ، كي لا يطير فستانها ، وتنكشف للصبيان. تتأمل السماء بعين شبه مغمضة.. إلى أن تلمحه.

ذلك الرجل.. الجار الجديد ، أو بالأصح زوج ابنة جارتهما العجوز. سمعت إنهم قد استقروا بعد سنوات السفر، وتمسكت

oberkanal.com

العجوز بهم يؤنسوها بدلا من إهدار مالهم في شقة، لن تكون بمستوى تلك الخاوية إلا حجرة تحتلها ولا تكاد تخرج منها إلا إلى شرفتها في الواجهة الخلفية للمنزل.

هذه المرة هو لا يقف لمراقبتها.. بل هو يجذب امرأته دافعا إياها للفراش.. الشيش المواربة مع النور المضاء يكشفهما تماما.. إنه يمتلكها، حتى تفقد السيطرة على صوتها، فيسمعها الشارع بأكمله.

بالتأكيد سمعها الشارع بأكمله..

بالتأكيد ليست وحدها من سمعتها..

بالتأكيد ليست هي فقط من لسعتها تلك السياط.. وبالتأكيد كان قد لمحها من وراء الشيش، حين لمحت ابتسامة جانبية بارقة، سرعان ما اختفت، قبل أن تلمحها امرأته.

obeikandl.com

تلهث.. تحاول أن تتوارى، فتتجمد في مكانها تراقب.. تريد أن تسافر الآن، فكيف تفعل؟.. تنتزع نفسها من المكان، تطفئ النور، تلجأ لسريرها، وكتاب كانت تقرأه.. تطاردها صيحة المرأة.. عاهرة.. زوجته نعم؛ لكنها عاهرة.. لا تصدر صيحة كتلك إلا من عاهرة.

يرن الهاتف، إنه سامي، تخرس الرنين، وتلقي بالكتاب أرضا.. تقوم منفعلة إلى المطبخ، فتدوس العلبة – العدو- بقدمها في هوس.. لإن سأل عنها ستصفعه.. يجب أن تصفعه.

يغلبها فضولها ثانية، فتتسلل إلى شباك الصالة في الظلام.. تحاول التواري وراء الزجاج العاكس، وتدور عيناها بحثا. ترى

المرأة وقد جلست إلى مرآتها، تمشط شعرها، وترش زخات من العطر مغمضة عينيها في استمتاع، وقد انفرج باب الشرفة على اتساعه.. تبدو جميلة.. احمرار وجنتيها يزيدها تألقا أنثويا مبهجا.. تشب على أصابعها محاولة تبين نوع ذلك العطر – لا تعرف لما – فتلتفت المرأة في تلك اللحظة وتراها.

تبتسم لها محيية، لا تستحي مما فعلت منذ قليل.. لا تستحي من ابتلال شعرها، وبشكير الحمام، الأصفر بلون الغيرة الفاقعة، هو كل ما يسترها.. لا تستحي من ضمة زوجها الذي أتى من ورائها، ليحيطها بذراعيه، ويدفن وجهه في رقبتها، يستنشق عطرها بعمق، وكأنه يتعمد إغاظة تلك

الواقفة وحيدة في شباكها.

كيف تستحي.. إن لها أن تتيه عليها ،

وعلى علبتها التي رمتها للتو مع القمامة.

.....

هي.. ستسافر

هو.. مسافر بالفعل

obeikandl.com

(٦)

مرة ثانية تضع تلك الورقة أمامه.. ينظر لها في اندهاش..

- طيب المرة اللي فاتت عدتها ، إنما في ايه المرة دي؟.. هي بتطق في دماغك فجأة كده؟! أنت حتى ما جبتيش سيرة في البيت!

- حبيبي معلش أعصابي تعبانة فعلا ، والمرة اللي فاتت زي ما انت عارف حازم كان هيتجوز فماكملتش إجازتي ورجعت.

يرمقها بعينٍ غير مصدقة.. يهز القلم بين أصابعه.. عصبيا جدا.. يضعه ، ثم يرفعه ، ثم يمسك بالورقة ، ويهم بتمزيقها ، فتمنعه شهقتها ، التي سارعت ببترها.

قام من مكانه ، واقترب منها.. جذبها من يدها ، وأجلسها على الأريكة في طرف

الحجرة، وجلس إلى جوارها..

- في ايه؟

تهز رأسها نافية أي شيء وكل شيء.. لن تتكلم، وهي واثقة أنه متأكد أنها لن تتكلم.

- طيب انا مش عاجبني سفرك كل شوية لوحدك كده.. بأغير يا ستي.

يحمر وجهها.. تشعر جدا بالمثل القائل (اللي على راسه بطحة...) ما يخنقها الآن ليس شكه فيها، وإنما احتمالية أن يحرمها مما يشك فيه. تحزم أمرها، وتطلق قرارها..

- هاسافر.. ولوحدي.. أنا مش مستحملة حد، وعايزة أبقى مع نفسي.

يعض شفته، رافعا حاجبه الأيسر.. يضع

obeikandl.com

الورقة على المنضدة الصغيرة المقابلة دون توقيع..

- اعملي اللي أنتِ عايزاه.

تتساءل في شيء من الاندهاش:

- مش هتمضي الإجازة؟

يرد في هدوء مريب..

- مالوش داعي.. أعتقد ترجعي من الإجازة على مشروعك الخاص أفضل وكفاية عليكِ من المكتب هنا.. واضح أن التصاقنا بقى زيادة في البيت والشغل وما بقيتيش مستحملاه.

تنظر إليه في تساؤل، فيشير إلى ملف أحمر على مكتبه..

- هنفتح مركز تأهيل علمي.. دراسات

obeikandl.com

وبرمجيات وصيانة.. كله يعني.. عايزين نظبط الناس بتوعنا علشان داخلين على اتفاقية تعاون مع شركة أمريكية ضخمة ولها شروط عالية.. المركز ده هيبقى مشروعك أنتِ لأنه هيحتاج حد موهوب زيك في إدارة المكاتب.

تبتسم.. ابتسامة بيضاء، خلت من لون الدم في شفاها.. إنها لم تمتلك حتى أن تهرب هي، وفركها هو بين أصابعه كذرات تراب.

.....

هي.. تهزمها كلمة

هو.. لا ينهزم وإن كان مهزوما.

oberikanal.com

(٧)

وحدها بنجاح.. حتى وإن نفاها بعدها عن عملها، الذي بنت فيه أكثر مما بنى. هذه هي الرحلة الأهم.. رحلة القرار الكبير.. ستأخذ حقها كاملا.. ستفعل مثل جارتها، وتسمع الأفق آهاتها. لم تطلق صوتا معه من قبل.. كانت تستقبل متعتها حذرة مكتومة.. وكان يسقيها الحياة في ضمة تضغط صدرها، وقبلة حياة تعيدها من غرقها، ويكتفي.. وتكتفي.

تشرد وجلة للحظة، ثم ترمي حقيبتها الصغيرة، وتغير ملابسها لثوب قصير واسع خفيف.. تطير به إلى البحر.. إلى الموج.. تفتح فمها، لتهتف منادية، ولتكتشف انها لا تعرف اسمه.. تجري، تداعب الموج على

obeikandl.com

الشاطئ وتضحك.. تعرف أن ضحكاتها ستوقظه.. ستجعله يرسل الرمال تسحبها، والدوامة تدير رأسها، وتأتي بها إليه.. تجري أكثر.. تبدأ في القلق.. فالغضب.. فالصراخ!

ترتمي على الرمال.. تتمرغ فيها.. تتقلب في الأرض تاركة البر.. تحتضن الموج، فيفر من بين ذراعيها، وينسحب وحده للعمق..

.....

حين أتت الشمس في ذلك اليوم الـ (عادي جدا).. سالت منه دمعتان إلى البحر، وجففت النسائم خديه سريعا. تساؤله يومض، ويزول سريعا أيضا.. أعطاها كل ما تمنت.. انتشلها من واقع فقير قاتم، أبقاها في عملها الذي تعشق.. تحمل آثار الدواء الجانبية ليمتعها في الفراش حين

obeikandl.com

تحتاج لذلك. يبدو أن كثرة التدليل تمرض أيضا. كم نصحها أن توقف تلك الأدوية التي وصفها لها ذلك الأفاق، الذي لجأت لعيادته النفسية.. لم تطع كلامه!

تمت مراسم الدفن في سرعة.. سيمتص التراب آثار الأدوية من جسدها أخيرًا.. وربما ترتاح.

.....

هي... غرقت عشقًا

هو... يبحث عن مدير لمركز التأهيل

obeikandl.com

أغاني وعاجباني

obeikandl.com

(١)

يادي النعيــم

"يادي النعيم اللي انت فيه يا قلبي من بعد العذاب.."

يرتفع صوتها حادا بهذا المقطع.. لا تكرر سواه.. تنفض البطانية من الشرفة ، تضعها على السور وهي تكرر..

"من بعد العذاب"

تلحقها بمرتبة السرير.. أعجب من قدرتها على حملها.. تلك الطريقة القديمة.. تبرمها.. تحتضنها ، ثم تفردها على السور فوق البطانية.. تكرر.." من بعد العذاب"

تختفي بالداخل لفترة.. أنشغل بكتابي..

obeikandl.com

تخلعني عن اندماجي به بصوتها الحاد مجددًا

" يادي النعيم..."

لا تكملها..تستند إلى المرتبة محاولة حملها ، غير مستطيعة.. تتركها وتضع يدها على أسفل سلسلة ظهرها.. يبدو على وجهها الألم.. تتغير ملامحها كأنها تبتلعه. ..(الألم) . وتحتضن المرتبة ، وتفزّ بها .."اللي انت فيه... آه.. يا قلبي"

دخلت بها تجر قدميها.. دقائق قليلة وعادت تحمل البطانية بلا غناء..

انتظرت أن تعود.. خرج هو .. يصرخ عاليًا..

" خارجة بوشك مكشوف وده قاعد مبحلق فيكي يا فاسقة"

obeikandl.com

احمر وجهي، وانكفأت على كتابي ..

صفع الـ (شيش) ، وسمعت صوت الزجاج يرتج أيضًا.. صياحه رغم ذلك مسموع لكل الشارع.. بضع دقائق، ثم هدأ كل شيء..

بعد نصف ساعة، رأيتها – بوجهها المكشوف - تفتح شباك الحجرة الأخرى.. تتابعه وهو يصل إلى أول الشارع.. تخرج مجددا حاملة مرتبة صغيرة.. يرتفع صوتها حادًا..

"يادي النعيم اللي انت فيه.. يا قلبي"

obeikandl.com

(٢)

أصحاب أنا وانت وللا

يسيران بجوار سور كلية الفنون التطبيقية.. ذلك السور المزدحم بزخارف طلاب الكلية.. أحدهما طويل يبدو رياضيًا ، والآخر ضئيل الجسم وإن لم يكن قصيرا.. يثرثران بلا توقف، ثم يقفان لثوانٍ متأملان إحدى الرسمات وهما يدندنان معا..

"أصحاب أنا وانت وللا.."

لا أدري لماذا لا يكمل الناس ما يغنونه.. لم أسمع تلك الأغنية من قبل، وتمنيت أن أعرف تكملتها. لكنهما يبدءان السير مجددا وقد أخذهما نقاش جاد فنسياها

obeikandl.com

تماما..

أمضي وراءهما ، فطريقنا واحد ، فأنا أراهما كثيرا.. ربما كانا بنفس كليتي لكن بسنة مختلفة لذا لم تأتِ فرصة التعارف. بعد قليل يسكن النقاش.. تمر لحظات من الصمت.. ثم يدندن الضئيل الأغنية مجددا ، وبإحساس قوي جذبني بشدة..

"أصحاب أنا وانت وللا.."

يقاطع صاحبه الغناء سائلا إياه عن اسم فتاة.. – كنت قد اقتربت كثيرًا بما يسمح أن أسمع الحديث مفصلاً- لمحة أسى طافت بوجه الفتى الذي لا أرى سوى جانب وجهه.. ثم لا يرد.. يفاخره الآخر أنه عرفها لسنة كاملة ، وهو من زهدها لكونها

(مملة).. يدندن اللحن دون كلمات، ولا يرد..

يعابثه ضاحكا.. فيحاول رسم ابتسامة على وجهه.. يضربه بدفتره، ويجري.. يطارده وهما يتضاحكان.. ولم يكن ممكنا أن أشاركهما الجري بحال.

أتابعهما وأنا أمد خطاي، وقد غلبني حب استطلاعي.. لا زالا يتمازحان، أو بالأصح يتناطحان في غير تكافؤ.. الأضخم يدفع الضئيل مرتفعةً ضحكته.. يحاول زجره بكلمات غاضبة، لكنه يستمر في دفعه هازلاً.. يندفع جسده خارج الرصيف..

لم ادرِ من أين ظهرت تلك الحافلة..

أحسست أني أسمع غناءه .. رغم أن وجهه كان مختفيا.. ورقبته تحت عجلات

الحافلة.. وصاحبه مذهول لا يحرك ساكنا.

وقفت للحظة غير مصدق، ثم تابعت وحدي الطريق، أدندن ذلك السؤال الذي سأبحث بالتأكيد عن تكملة إجابته..

"أصحاب أنا وانت وللا.."

obeikandl.com

(٣)

مين قال لك تسكن في حارتنا

عجيبة بجرأتها الفاحشة.. الشباك مفتوح وقد أسدلت عليه ستار شفاف لا يخفي شيئًا. تجلس على الأرض بصالة شقتهم كاشفة ساقها .. تمدد تلك العجينة عليها، تنزعها مطلقة آهة أقرب للتدلل منها للألم.. يتأوه معها شباب الشارع جميعهم .. أحاول الاختفاء أكثر وراء الشيش الموارب.. لو رآني هؤلاء وأنا أراقبها لما سلمت من تعليقاتهم التي أبسطها "عيب على دقنك"

تبدأ في الغناء بتلك الأغنية القديمة .. "مين قال لك تسكن في حارتنا تشغلنا.."..

تنزع العجين، تطلق تلك الآهة الروتينية مع كل مرة.. وتكمل.. " وتقل راحتنا"

obeikandl.com

لا تحاول الالتفات إلى من يراقبونها..
تلوي خصرها لتبدأ في ظهر ساقها ،
فينكشف جسدها أكثر.. وتنطلق نداءات
الشباب لبعضهم مدعين توجيه الحديث
فيما بينهم.

لا زلت أراقبها ، وأراقبهم.. أشعر أني
ألهث معها.. لكنها تنتهي في اللحظة
المناسبة قبل أن تزهق روحي من شدة
إجهادي..

عجيبة هي وهي تعود مرتدية إسدال
الصلاة ، وتفرش السجادة الصغيرة نحو
القبلة وترفع يديها.. عجيبة وهي تطيل
السجود.. غير عابئة بالتعليق على خصرها
الناحل وظهرها المشقوق الذين يجسدهما
الإسدال فلا يرى الشباب من صلاتها

obeikandl.com

سواهما..

أعبث بلحيتي.. أدندن بهمس.. "وتقل راحتنا"

تنهي صلاتها ، وتخلع الإسدال، وتفتح الستار..تقف إلى المرآة تمشط شعرها المبتل.. في هذا الوضع لا أراها جيدًا.. بالكاد ذراعها الذي يكشفه الكم القصير وجانب ردفها يجسده ثوبها الناعم..

عجيبة في تناقضها.. يكاد الشيش ينفتح وأنا أحاول رؤيتها أكثر، فأدركه بسرعة.. ينطلق تعليق من أحدهم أعتقد منه أنه يلمِّح بأنه يكشفني.. أنسحب.. أفكر قليلا ، ثم أدخل إلى الحمام، أفتح شباكه.. هنا لن يراني أحدهم.. كما أني أراها أفضل كثيرا.. تلمحني في مرآتها ، فتتوقف يدها

بالمشط في الهواء لحظة.. يسقط.. تميل لإحضاره.. وأكاد أجن..

تتقدم نحو شباكها في بطء.. تغلقه بعنف وهي تغني..

"يا تشوف لك حل ف حكايتنا يا تعزل وتسيب حتتنا"

ينطلق الأذان في هذه اللحظة، فأنتفض في مكاني مفزوعًا.. أغتسل سريعًا، وأنزل إلى الزاوية التي يجمعنا فيها شيخنا.. أنتظر انتهاء الجماعة، وأقترب منه.. أهمس له بما بي.. يأخذ الأمر بجدية تريحني.. يظل يسألني وأجيبه.. وأتركه وأنا هادئ أخيرًا.

أسبوعان مرا وأنا أحاول اتباع نصائحه.. أراقبها لازلت؛ لكن أستغفر.. أنظر إليها بعين وأغمض الأخرى؛ كي لا أركز

obeikandl.com

تفكيري معها كثيرًا.. كلما أحسست بالوهج أقوم لأطفئ ناري بالماء.. في الحقيقة.. لست دائمًا أفعل.. فنارها متعة قد لا أقاومها..

ما هذا.. أسمع دقات دفوف..صفافير الشباب.. أنظر من وراء الشيش الموارب.. عجبًا.. إنها هي.. تنزل من بيتها في ثوب أبيض يغطيها إلا عينيها.. تزفها دفوف فقط.. ينتظرها بجوار السيارة مرتديًا جلبابًا أبيض.. يأخذ بيدها لتركب، ثم يستدير ليركب من الباب الآخر.. لا يلتفت لتعليقاتهم، كأنهم ليسوا هنا.. أفتح الشباك بشدة لأتأكد مما رأيت، فيرفع رأسه، ويراني.. يبتسم لي محييًا.. ثم يركب شيخنا بجوار عروسه ليتركني أدندن

obeikandi.com

ضاحكاً من نفسي..

"ياخي بعدك بيتنا ماهو جنبك"

obeikandl.com

(٤)

يمامة بيضا..

يهتز الكوب الساخن في يدها وهي ترفعه إلى فمها مبتسمة.. تراقب الفتاة وهي تمد الخطا حتى وصلت إلى ناصية الشارع فبدأت التلكؤ. ترتشف الينسون في تلذذ وهي ترفع حاجبها مترقبة حدوث ما تتوقعه.. تنظر لأسفل بنايتها..

تدندن بأغنيتها المفضلة

" يمامه بيضا.. ومنين أجيبها"..

تقطع غنائها الهامس، فها هو يخرج من البناية.. يمد الخطو بحماس حتى يحاذي الفتاة فيبدأ التلكؤ.. ولا يلبث كفاهما أن يتشابكا.

تتسع ابتسامتها.. تتابعهما منذ أشهر.. منذ

obeikandl.com

أيام قليلة رضت الفتاة بمقابلته أخيرا.. هذه هي مرتهما الثانية على ما تعتقد.. تدندن "طارت يا نينا.."

يكاد الكوب يسقط من يدها ، فتدركه بصعوبة. لكن ينسكب الينسون على رأس صاحب الحظ الأغبر الذي مر بالأسفل في تلك اللحظة.. بالطبع طفحت بالوعة السباب غير عابئة بالتناقض مع تلك الأناقة المفرطة. نظرت له مشمئزة، ولم تعلق.. هي مشغولة مع ما تراه هناك. أبو الفتاة رآها.. صفعها في الشارع.. الفارس تخلى عن فروسيته، وكر آفلا إلى البناية.. الرجل كالثور يتعقبه، وها هو يعبر بالأسفل، فتنظر للكوب مفكرة في... احم تتراجع.

إنها تعرف الرجل.. يقطن تلك البناية على

ناصية ذلك التقاطع التالي.. كان صديق ابنها ، وسبب تركه لخطيبته.. ولهجرته بعد ذلك أيضا.. تدندن مع تذكرها له..

" ومنين أجيبها.. طارت يا نينا.."

يقاطع شجونها تلك الضجة على السلم..

تترك الكوب على سور الشرفة ، وتجر قدميها متأرجحة كالأوزة في خطوها..

تشب إلى "العين السحرية" لتراقب ما يحدث..

لقد فضح الرجل الفتى عند أبيه.. خسارة يا غبي .. إنه فتى ليس سيئا بحال.. لم يخذل الأب ابنه أمام ذلك الزائر على غير موعد..

شيعه بالسباب فيه وفي ابنته التي (ماعرفش يربيها).. صك الباب ولم يستطع الآخر إلا التوعد لـ (فاجرة) ونزل..

بمجرد صفق الباب ، سمعت تلك الفرقعة.. معتادة لدى جارها.. اعتادت أيضا سماع

زوجته بعدها..

"الولد كبر عالضرب ده"

العجيب أنها لا تسمع صوت الفتى وهو

يُضرب أبدا!

" يمامه بيضا.."

تعود إلى الشرفة.. ترى الرجل وقد اقترب

حيث يقطن.. يختفي عن عينها فتطلق خيالها

يرى ما يحدث..

تمسك الكوب، وتقلب شفتيها.. لقد برد..

تفكر.. كانت خطيبته جميلة وتحبه..

تسرح بنظرها إلى شرفة الفتاة..

لأنها بعد سنة من الخطبة تركته يقبلها

فهي ليست محل ثقة..

الفتاة تقف وراء الشيش باكية تتابع أباها

وقد نزل إلى الشارع..

أنت أيضا قبلتها يا بني فأنت خنت ثقة

obeikandl.com

أهلها..

الفتى يتوارى وراء شباك حجرته، لاتراه لكن تسمع أنفاسه ونهنهته، فالشباك يبعد عن شرفتها مترا واحدا..

الرجل لا يعاب عليه لكن هي بنت..

الفتاة تختفي..

لم تكن تلك أفكارك لا تسلم رأسك له..

أسبوع.. أسبوعان.. الفتاة لا تظهر، والشرفة لا تنفتح!

قل له لديك بنات فلا تظلم بنات الناس..

الفتى يبكي بصوت كلما اختلى بشباكه في الليل

تغني له كل ليلة.. "يمامه بيضا .. ومنين اجيبها.. طارت يا نينا.. عند صاحبها"

obeikandl.com

(٥)

يا ليلة العيد

"يا ليلة العيد آنستينا وجددتِ الأمل
فينا.. يا ليلة العيــد"

تدندن وتتأملهم، يلتهمون الخبز والباذنجان المقلي، متكئةً على الأريكة وقد تحججت لعدم مشاركتهم بأنها (نتِشِت) وهي تقليه بعض قطعه.. تبتسم.. ذلك السن الذي لو وضعت له قدرة الفول كاملة لالتهمها.. تتأمل وجوههم.. ذلك التوأم وكلاهما خط شاربه.. ذلك التالي الذي يكاد يلحقهما.. وذلك الصغير الذي يأبى أن يكون أصغر فيضحكهم جميعا.

أخذ الصغير قطعة باذنجان في يده، وقام متجها إليها.. همس في أذنها:

- عارف انك ماكلتيش ولا حاجه خدي دي

تضحك وتربت على كتفه. تمسك يده وتوجهها إلى فمه، فيفتحه تلقائيا ويأكلها. ينظر إليها في عتاب طفولي، فتهمس في أذنه بغنوتها:

"يا ليلة العيد آنستينا.. وجددتِ الأمل
فينا يا ليلة العيد"

مع الفجر تصحو.. تتسحب إلى الخارج في هدوء، كي لا يشعر أحدهم بها.. تعبر شريط القطار الفاصل بين.. حيث هم.. وبين أولئك الذين يذبحون الخراف.

تستكشف أماكن العجول، ثم تعاود دورتها لتحفظها جيدًا.. تشرق الشمس، ترتفع التكبيرات بالمآذن، تتجه إلى المسجد

obeikandl.com

الكبير مسرعة. تتخير بعض النساء المتأنقات وتجلس بينهن. تقام الصلاة.. تنتهي.. يبدأن في تهنئة بعضهن البعض غير منصتات للخطبة.. تتسقط منهن أخبار الأضحيات لديهن.. تبتسم تلك الابتسامة، التي تعرف أن ستأتي بأثرها على بعضهن.. تسقط تلك الدمعة التي تتقن توقيتها.. وحين يكاد يخلو المكان تسارع لتلحق نصيب من الذبائح.

لا جديد.. يكرمها هذا بكيس كله الدهن.. العظام.. تلك تعطيها الحوافر.. الكرشة.. أخيرا كيس به بعض قطع الكبد.. هذا العجل لم ينبها منه سوى الضرب من المتزاحمين.. تتركهم مسرعة لتلحق بالآخر.. تاجر السيارات هناك

يكرمها بكيس من اللحم وكيلو من الأرز أيضا فتزغرد.. يضحك، فتدعو له.

تكتفي، فقد ثقل الحمل.. تمر ببعض الجارات.. بالطبع "الفوقيات"..- أي من تقطنّ الأدوار فوق الأرض- .. ثم تدخل على عيالها أخيرًا..

تسألهم عن الصلاة في المسجد فيومئون.. يتوقف السؤال الآخر في حلقها..

إنه الصغير دائما من يحس بها..أخرج بعض الجنيهات من جيب سرواله.

- ادوني العيديه دي..

تبتسم له، تمد يدها فتأخذها.. تتخير منها نصف الجنيه، فتعطيه له..

- كل سنه وانت طيب يا حبيبي

obeikandl.com

تنظر بحزم للثلاثة الكبار.. يلوون شفاههم، ثم يخرجون الجنيهات ممتعضين.. تعطي كل منهم جنيها، وتقول:

- ما انتم عارفين انها مش لكم.. هم بس أهل الخير واخدينكو حجه

تتركهم، وتضع العظم في الإناء المسوَد، وتملأه بالماء.. تطهو الأرز..تقطع الخبز وتعد الـ "فتة"

تضع الصينية أمامهم.. لا ينطق أحدهم لبرهة، قبل أن يسأل أحد التوأمين:

- هو مش ده عيد اللحمه؟

ترتبك قليلا.. تمسك بـ "ماسورة" وتدقها على الصينية فيسقط نخاعها..

- كُل.. البهاريز دي اللي فيها الفايده

obeikandl.com

كلها

يأكلون في صمت وقد ضاع عشمهم في هذا اليوم.

بعد الطعام، صعدوا هم الأربعة للشارع.. وأراحت هي جسدها قليلا بعد اللف منذ الفجر. أخرجت حسنة المسجد، وحصيلة بيع ما جمعت من الأضاحي.. لم تزل بضعة جنيهات لتكمل إيجار الحجرة.. تذكرت جنيهات "عيدية" الأولاد، فأخرجتها من تحت الوسادة. اكتمل الإيجار إذًا.. اتسعت ابتسامتها، وأطلقت تنهيدة راحة كبيرة.. وأخذت تدندن والنعاس يغالبها..

"يا ليلة العيد آنستينا.."

obeikandl.com

(٦)

دي الرجال قنّاصة

يدير المفتاح في الباب، يتوقع ما سيجده.. بالتأكيد جالسة إلى الحاسوب، وتنظر إليه، وتضغط الفأرة في لحظة دخوله. إنه نفس السيناريو المتكرر كلما دخل عليها. يدندن:

"خايف على قلبك من الحنية"

ها هي تعيد نفس الصورة، تطبق الحاسوب مبتسمة وتقوم لاستقباله لافةً ذراعيها حول رقبته. يسمعا صوت المفتاح، فتتركه لتستقبل أمها العائدة من عملها أيضًا. تحتضنها في فتور، والإعياء على وجهها يبرر فتورها.

obeikandl.com

- الدنيا كانت زحمة بشكل لا يطاق النهاردة.. اتبهدلت في الاوتوبيس.

تبتسم الفتاة قائلة بطريقة مسرحية..

- ما قلنا كبرتو عالشغل سيبوه للي ف سننا ومش لاقينه.

تضرب مؤخرتها في مرح وترد:

- كلها سنتين ويسيبني هو.

يتابع حوارهما بابتسامة صامتة، فرأسه منشغلة باتجاه آخر. يدخل لتغيير ملابسه، وتلحق به امرأته، يدندن وهو يسمع صوت الأطباق..

"خايف عليكِ من سلامة النية.."

بالطبع تجهز لهم الغداء بسرعة، كي ينتهوا منه وتعود لحاسوبها. بئس الفكرة

obeikandi.com

كانت شراء ذلك الحاسوب المحمول.

.....

- إنعام
- ها
- نمتِ؟
- لأ.. في حاجة؟
- هي أسماء ما اتخطبتش لحد دلوقت ليه؟ اخواتها ما اتأخروش كده!

تضحك في وهن..

- أنا بتكلم جد بتضحكي على ايه!.. طب نامي نامي اما تفوقي نتكلم.

يسند رأسه إلى ظهر الفراش، ويدندن في همس:

"والشوك في غصن الوردة يحمي الوردة.."

obeikandl.com

.....

يشعر بالعصبية الشديدة.. إنها المرة الرابعة التي يجد الهاتف مشغولاً.. قرابة الساعة الآن وهو مشغول.

- مالك يا أستاذ عبدالعزيز؟

ينظر لمحدثته.. رفيقة عمله لسنواتٍ طويلة ، ومحل ثقته.

- تليفون البيت مشغول بقاله ساعة اهوه.

تضحك مهونة المسألة..

- يووووه ده أنا بنتي لما بتمسك التليفون يبقى عليه العوض. رغي البنات بقى يا أستاذنا.

يقوم من كرسيه متجهًا إلى مكتبها ،

obeikandl.com

فيجلس على الكرسي أمامها ، مستغلاً عدم وجود مراجعين.

- قلقان عليها يا ست نوال.. الكمبيوتر ده كمان اللي واخد وقتها وبسمع عليه قصص ياما.

- ايه يا أستاذ عبدالعزيز ما تقلقش انت مربي بناتك كويس. الكمبيوتر بقى حيلة الشباب كلهم ماهم لا شغلة ولا مشغلة.

يقترب برأسه ناحيتها كأنما سيهمس إليها بسرٍ خطير:

- بحس كل ما أدخل عليها انها بتقفل الصفحة.. خايف يكون حد ضاحك عليها يا نوال.

ترسم الاهتمام على وجهها ، وتفكر قليلاً..

obeikandl.com

- طيب تحب أخلي لميا تعمل ولد وتشوف لك بجد ان كانت بتلعب عالنت؟

يهم بالموافقة، ولكنه يعود ليتراجع.. ماذا إن كان هذا حقيقي.. سيفضح ابنته إذن.. يبدو أنه أساء التصرف بالفعل بما قاله.

- طيب ما تحتارش كده.. ايه رأيك أنا عندي عريس كويس لها. هو بصراحة البت لميا رفضته وقالت كبير. بس أسماء تكبر عنها بكام سنة فهيبقى مناسب لها وهو لقطة والنبي وخسارة.

يكشر ملامحه لحظة قبل أنا يسألها عن تفاصيله. وتنفرج أساريره مع سماعها أكثر فأكثر. تدق رقم ما على هاتف المكتب، وتتكلم قليلاً.. تسأله عن موعدٍ

إن كان يناسبه، يبتسم موافقاً.. وتضع السماعة وهي تزغرد بصوتٍ خفيض.

.....

يرتشف الشاي وهو ينظر إليهما تتبادلان النظرات ولا تعلقان..

- أفهم ايه يعني من سكوتكم ده؟

في تردد تنطق أسماء:

- مش شايف انه كبير يا بابا؟

- فرق ٨ سنين كبير؟ لا يا بنتي الست بتعجز قبل الراجل.

تمط شفتيها في امتعاض لذلك الكلام، وترد من بين أسنانها..

- كان زمان يا والدي.. دلوقت الراجل بيعجز قبل الست خصوصا لو مش بتشتغل

obeikandl.com

زي حالاتي وهو طلعان عينه.. ده لو مش هيطلع معجز من أولها ومن مقدسي الحبة الزرقا

يحمر وجهه أمام جرأة ابنته الواصلة حد الوقاحة.. تدرك أمها غضبه، فتزجزها..

- بس يا قليلة الأدب.. وبعدين ما تشوفيه. ياما صغيرين مافيهومش روح الشباب وكبار كلهم شباب.

تحاول تلطيف الأجواء أكثر، فتلكزه مداعبة..

- ما ابوكِ اهوه فاضل له سنة عالمعاش وكله شباب.

يبتسم مجاملاً وهو يرقب ابنته منتظرًا ردها. تبدأ في هز قدمها بعصبية، تغمض عينيها مشيرة بيديها..

obeikandi.com

- طيب أشوفه.. بس توعدوني ما تكونش تدبيسه.. يعني لو رفضت خلاص. ماشي؟

تسرع إنعام بالرد:

- طبعا مافيهاش كلام. هنشوفه كلنا ونتناقش بالعقل ونتفق على رأي.

- ماما.. ده جواز مش بس عقل!

- شششش خلاص شوفيه الأول وبعدين نتكلم.

يزفر مرتاحًا للنتيجة مؤقتا.. يبدو أنه أسرف في ظنونه.

"والمية ياما تكدب الغطاسة"

.....

تربت إنعام على يد عبدالعزيز لتهدئ من

obeikandl.com

ثائرته، بينما لا تكف أسماء عن المناقشة والانفعال.

- طيب خليه يوريك بطاقته.. أنا مستعدة أحلف انه كداب.. واللّٰه مش أقل من خمس سنين أكبر من السن اللي قايله.

يصرخ بها..

- أنا محدش من اخواتك تعبني زيك.. ايه اللي شكله وما شكلوش يا بت.. ده راجل مش بنت.

- وهو يعني الراجل له نفس في البنت والبنات مالهاش نفس؟ يا بابا شكله عجوز وياريت عجوز حلو حتى.

- انت قليلة الأدب.. لو عندك اعتراض محترم كنت اوافقك انما ايه شكله دي.. عشنا وشوفنا الراجل يتعاب بشكله.

obeikandl.com

تستدير لتحمل حاسوبها وهي تقول:

- عموما مش مهم السبب .. بلغوه اني رافضة وخلاص.

يصرخ بها:

- استني هنا.. حطي الزفت ده هنا مافيش قعدة عليه تاني. شكله بوظ دماغك وللا شايفالك شوفه عليه من صيع النت اللي بيضحكوا عالبنات.

تترك الجهاز وتعتدل واقفة وهي تنظر إليه ذاهلة وقد احمر وجها تماما.. ترد إنعام في صوت خفيض صعقته المفاجأة..

- ايه يا عبده اللي بتقوله ده.. بنتك متربية ومالهاش في المسخرة وانت أول واحد عارف كده.

obeikandi.com

يشيح بيده، ويتركهما متجهًا لحجرته صافقًا الباب وراءه.. ويسمع صوت نهنهة الفتاة.

تدق الكلمات في رأسه..

"دي الرجال قنااصة"

.....

- لأ والله مالكش حق أبدا يا أستاذ عبدالعزيز. البت مقهورة منك.

- يا أستاذة أنا تعبت معاها ومابقتش صغيرة.

- أيوه بس خليك حكيم شوية يعني واكسبها.. كده هتخليها تعند.

- .....

- طب بص أنا هخليه يقابلها تاني ويقنعها بشخصيته.

obeikandi.com

- رافضة تشوفه تاني.
- طيب معلش ربنا يرزق بغيره.. أنا هحطها في دماغي زي لميا بنتي بالظبط.

يبتسم في أسى، ويدفن باصرتيه في أوراقه مدندنًا في أسى:

"خايف عليكِ من سلامة النية"

.....

أطفئوا الشمعات الثمانية والعشرين.. يراقبها وسط أخواتها تضحك وكأن لا شيء هناك.. يتأمل أحفاده يعبثون بكل ما في البيت، ويتساءل ألا تغار من أخواتها؟!.. يهز رأسه وهو يفكر أنها أسابيع قليلة بقيت ويصبح بالمعاش ويستطيع مراقبتها أكثر.. بل إنه سيحول بينها وبين ذلك الحاسوب بإذن اللّٰه.. إنه متأكد أنه السبب في رفضها

obeikandl.com

لكل خاطب. يتمتم في حزن:

"ولا كل كلمة حلوة .. تبقى تحية..خايف عليكِ.."

تقاطعه دعاء – كبرى بناته – وهي تجلس إلى جواره، وتبدأ في مداعبته. يتأملها للحظة، ثم يسألها:

- هاتي م الآخر يا دعاء.. عارفك اما تعوزي تقولي حاجة.

تضحك، وتقبل جبهته..

- حبيبي يا فاهمني انت يا بابا..

تميل عليه وهي تهمس..

- عندي عريس لأسماء، ومن الآخر كده أسماء موافقة.

يفاجأ بنفسه يعبس بدلاً من أن يفرح..

obeikandl.com

يشعر بما يحيك في صدره من شك له سنون يتنامى..

- ليه موافقة؟ تعرفه من قبل كده؟

يشعر بارتباكها ، وتجيب متلعثمة..

- لا يا بابا ده صاحب سامي هو اللي قال لي أكلمها عليه وشافته عندي.

- وانا طرطور في البيت؟.. شافته عندك بإذن مين؟

يحمر وجهها ، وترسل عينيها إلى أختها كأنما تقول لها " منك للّه"

- يا بابا ما تاخدهاش كده، المسألة وما فيها انه عدى على سامي وكانت هي وماما عندي فاتكلموا شوية مع بعض.

يحاول التغابي وقبول تلك المصادفة

obeikandl.com

المكذوبة.. يقبل بزيارته، ويحدد موعدًا.

- مافهوش ميزة عن أي عريس جالها، يبقى اشمعنى ده اللي قبلته؟

- ياخويا المهم قبلته خلينا نرتاح.

- نرتاح ايه.. انتِ فاكرة هنرتاح بجد؟ ده قدامه ولا سنتين على ما يجهز نفسه.

- ليه بقى انت مش ناوي تساعده؟ ما انت ساعدت اجواز اخواتها!

- بس هو لأ.. مش عاجبها كده زي ما هو ورفضت الناس علشانه؟ تشربه بقى.

- يوه! ايه يا عبده القسية دي؟ لا مش انت اللي تفكر كده.. واهو حتى لو كان اللي في دماغك صح، برضه اهو طلع جد وشاريها، مكنش بيلعب بيها يعني.

ينظر إليها مضيِّقًا عينيه ويفكر:

obeikandi.com

" ما ابقاش عبدالعزيز اما كنتيش عارفه من الأول يا بنت سمية"

.....

- ياخويا ألف مبروك عارفاه وللا مش عارفاه انت هتوجع دماغك ليه؟

- يعني اتقرطس بمزاجي يا نوال؟

- ولا تتقرطس ولا حاجة.. ولو امها واخواتها عارفين، يبقى البت كويسه اهيه ما خبتش حاجه عن البيت.. بس تلاقيهم خافوا منك على ما الواد يجهز

- يعني انتِ رأيك أوافق؟

- وعقبال بنتي يا أستاذ عبدالعزيز.. إلا هو مالوش أخ صغير وللا كبير حتى؟

- أسألهولك يا ست نوال

.....

obeikandl.com

وترتفع الزغاريد..

obeikandl.com

(٧)

عزيز على القلب

تأخذ دفترها من حقيبة يدها ، وتلقي عليهم تحية المساء، وتتجه إلى سريرها بحجرة أختها. تطفئ النور عدا (أباجورة) صغيرة بجوار فراشها ، وتشغل مذياع صغير على إذاعة أم كلثوم، وتضعه على وحدة الأدراج الصغيرة إلى جوارها. يأتيها صوت الحجار..

"سلمت له قبل ما اسلم .. والود كان باين في عنيه.."

تبتسم في حزن.. لكأنما اختارت التوقيت السليم تمامًا لتشغيل المذياع. تغمض عينيها ، و (تتسلطن) مع الأغنية حتى تنتهي ودمعاتها تتتابع على خدها في صمت. تغلقه

obeikandl.com

مكتفية ، وتفتح دفترها ، لتكتب أحداث يومها- كما اعتادت منذ سفره-

"حبيبي.. "

يقف القلم في يدها ، وتفكر قليلا ، ثم تشطب الكلمة جيدًا كي لا تظهر مع أدق المحاولات. تبدأ مجددًا..

" زوجي الغائب..

ذهبت ونيتك سنوات قليلة ، تعود بعدها ونستقر مع بيت صغير، وسيارة صغيرة. ألا زالت السنوات قليلة في نظرك؟!.. أعتذر عن عدم كتابة مذكراتي لك ككل يوم، فقد علمت أنك لن تقرأها أبدًا. لا تملك وقتا لذلك، فحتى إجازتك القصيرة يكون لديك ألف مهمة ، وألف زيارة ، وبعض الوقت للصغير.."

obeikandl.com

تدندن..

" عزيز على القلب تمنيه.. وتوعده بقرب وصالك"

تستكمل..

" أحقا لا تدرك أننا قد تباعدنا كثيرًا؟.. أنت زوجي، أليس كذلك؟ إذًا يمكنني الحديث إليك، دون حياءٍ، في تلك الأمور؟.. أعرف جيدًا أنك لست عفيفًا تمامًا، تطفئ نارك بين الحين والآخر في غربتك بتلكن (المزز) الكثيرات حولك.. أنت لا تنكر ذلك، وتعتقد أني آخذ الأمر بضحك، ولكم تفاخرت بأننا .."أصحاب".

لكن ماذا إن قلت لك أن بي نارًا مثلك؟.. الفراغ في حياتي هو أكبر ما بها.. تدعي أنك خبير بالنساء، فأين ذلك؟.. أعلمك.. أني

تصادقت مع الكثيرين على الانترنت.. دقق بالكلمات يا زوجي العزيز.. نعم كما تظن وتكذِّب نفسك، كثيرين لا كثيرات.. هل هناك مشكلة؟.. إنك تتحدث عن صديقاتك معي كأنما لوح من الثلج تلك التي أمامك.. وكثيرًا ما تقطع حكاياتك مستطردًا (صاحباتي يعني عاتي) .. إذًا هم أيضًا أصحابي.. عادي، فأنا لا أحب تحويلها إلى (عاتي).. فالعتاة هم أمثالك أنت يا.. صديقي.

تعودت أن هذا حقك، رغم أنك من هجرت، لا أنا. وتعودت أن تعتبرني كالطبق الذي تضع به طعامك.. بارد، صلب، ولا دور له غير فقط احتواء أطفالك، ولذتك في شهر الإجازة.. كم من مرة وعدتني بالعودة الأخيرة.. لم أكبح الكلمات، ورجوت بلا

حساب لكبرياء أو كرامة.. لأنني عرفت أن جرح الكرامة، المنتظرني لو ما حويتني في حضنك، أسوأ بكثير.. لم أكن أريد المال، ولا البيت، ولا السيارة. تعبت من غربتي ببيت أهلي.. وأنت في كل مرة لا تفي.. أجزم أنك تفهم ندائي، وإنما تدعي عدم الإدراك لتبرر تجاهلك مستغلا حرجي من التصريح أكثر"

تدندن..

"..وبعدها ترجع تجافيه.. يحتار في قربك ودلالك"

تسحب منديلا من العلبة تحت الـ (أباجورة) لتمسح دموعها وأنفها.. تقذفه في السلة.. ثم تعاود الكتابة..

"بالأمس فقط.. توقفت حيرتي بين (قربك

ودلالك)، وركنت إلى اليأس.. تحديتك، وأطفأت ناري بدونك.. لا تدهش هكذا، فما أسهل ذلك في عصر الاتصالات الرائعة..إنك خبير في ذلك"

تبدأ في النهنهة، فتقوم لغلق باب الحجرة، كي لا يلحظها أحد. تعود لفراشها، فتتدثر بغطائه؛ رغم أن الجو لم يزل خريفيًا منعشًا.. لكنه ربما برد من داخلها أقوى مما يحيطها.. تشطب تلك السطور الأخيرة.. تحاول التكملة بتعبير آخر، فلا تجد.. تراجع ما كتبته من بدايته، فتمتعض، وتقطع الصفحة، وتمزقها، وتلقيها بالسلة..

النوم لا يمس عينيها، فتقوم إلى حاسوبها.. تدخل إلى الـ (فيس بوك) بتلك

obeikandl.com

العضوية الوهمية، فتراه متواجدًا.. يرسل إليها محييًا صاحبة الاسم الرقيق.. تسأله إن كان متزوجًا، فيرد أن نعم، ولكنها مثال الزوجة المصرية المتزوجة عيالها، فلا يزال قلبه المسكين بكرًا.

يغلبها البكاء وهي تدندن..

"يا قلبي صدقت وعوده وفضلت عايش في الأوهام"

تبحث سريعًا على الـ (يوتيوب) وترسل له رابط الأغنية..

عزيز على القلب

obeikandl.com